جمهورية السودان

التعليم الثانوي

التربية الإسلامية

الصف الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهوريّة السّودان
وزارة التربية والتعليم
المركز القومي للمناهج والبحث التربويّ
- بخت الرضا -

التَّربية الإسلاميّة

الصّفّ الثّالث الثّانويّ

طبعة منقحة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

إعداد لجنة بتكليف من المركز القومي للمناهج والبحث التربوي من الأساتذة :
الاستاذ الدكتور / محمد عثمان صالح - جامعة أم درمان الإسلامية
الأستاذ / عبد الباسط عبد الماجد بشير - خبير تربوي
الدكتور / عثمان ميرغني علي - جامعة أم درمان الإسلامية
الأستاذ / محمد عبد الرحيم باسان - جامعة أم درمان الإسلامية
الأستاذ / محمد كوكو عطا الجيد - المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

مراجعة:
ا.د. عمر يوسف حمزة - عميد كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية
د. كمال يوسف علي - نائب عميد كلية أصول الدين _ الجامعة الإسلامية
د. طه محمد نور الدائم أحمد - المركز القومي للمناهج والبحث التربوي
أ. عبد الباقي الإمام - خبير تربوي
أ. محمد كوكو عطا الجيد - المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

تصميم الغلاف :
الأستاذ / إبراهيم الفاضل الطاهر - المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

الإخراج الفني :
إشراقة فرح شريف - المركز القومي للمناهج والبحث التربوي
نجلاء أبشر سليمان - المركز القومي للمناهج والبحث التربوي
تهاني بابكر سليمان - المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ
التجويد	١
المدود	١
• المد الفرعي	٢
• الحروف المتقطعة	٧
❑ سورة النور (للحفظ والتفسير)	٩
– مقدمة .	٩
– عقوبة الزنا .	١٢
– حكم القذف بالزنا وحكم اللعان .	١٥
– حادثة الإفك (١) .	١٨
– حادثة الإفك (٢) .	٢٣
– عودة على قصة الإفك .	٢٨
– آداب الزيارة والاستئذان .	٣٣
– آية الحجاب .	٣٧
– علاج الأزمات الاجتماعية .	٤٢
– الله نور السماوات والأرض .	٤٦
– لا قيمة للأعمال بلا إيمان .	٥١
– من دلائل قدرة الله .	٥٤
– صفات المنافق الكاذب وصفات المؤمن الصادق .	٥٩
– دولة المؤمنين تدوم بدوام الإيمان .	٦٤
– آداب الاستئذان داخل الأسرة .	٦٧
– رفع الحرج عن أصحاب الأعذار .	٧٠
– أدب الجماعة المؤمنة مع قائدها .	٧٤
❑ آيات مختارة للتفسير والفهم :	٧٧
– آيات المواريث .	٧٧
– صفات عباد الرحمن .	٩٢
– الأمر بالعدل والوفاء بالعهد .	٩٨

الموضوع	الصفحة
أحكام فقهية عامة :	١٠٤
❑ تمهيد .	١٠٤
❑ أحكام النسل :	١٠٥
– الأبناء زينة الحياة الدنيا .	
– دعوة الإسلام إلى التكاثر .	
– موانع الحمل ، الإجهاض ، وتنظيم النسل وتحديده .	
❑ الأيمان :	١١٢
– النهي عن الحلف بغير الله .	
– أقسام اليمين وحكمها .	
– كفارة اليمين .	
❑ النذور :	١١٥
– مشروعية النذر في القرآن الكريم .	
– حكم النذر .	
– أنواع النذر .	
❑ الوقف :	١١٨
– حكم الوقف .	
– أنواع الوقف .	
– شروط الواقف .	
– أثر الوقف في الحضارة الإسلامية .	
❑ الدين :	١٢١
– معنى الدين .	
– مشروعية الدين .	
– حكم الدين .	
– شروط الدين .	
– أحكام الدين .	
– الأشياء التي يكون فيها الدين .	
– التعجيل بقضاء الدين قبل الموت .	
– إنظار المعسر .	

الموضوع	الصفحة
الأمة الإسلامية و خصائصها :	١٢٦
❑ معنى الأمة ونشأتها :	
– نشأة الأمة الإسلامية .	
❑ خصائص الأمة الإسلامية :	
– الربانية .	١٢٩
– الإنسانية .	١٣٢
– الشمول .	١٣٧
– الوسطية .	١٤١
– الثبات والمرونة .	١٤٤
❑ الإسلام دين التوحيد :	١٤٧
– توحيد الألوهية	١٤٩
– توحيد الأسماء والصفات	١٥١
– مظاهر التوحيد في دين الإسلام	١٥٣
❑ الإيمان والعلم في كتاب السنة:	١٥٦
❑ الإيمان من كتاب صحيح البخاري .	١٥٧
❑ العلم	١٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام وكفى بها من نعمة ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وخاتم النبيين الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين .

وبعد ..

الإخوة المعلمون والمعلمات ، والأبناء الطلاب والطالبات – بالصف الثالث الثانوي .

نقدم لكم كتاب التربية الإسلامية الطبعة المنقحة الذي يضم بين دفتيه مقرري القرآن الكريم والدراسات الإسلامية ؛ ويحتوي هذا المقرر على ما يأتي :

أ) سورة (النور) التي تتناول أحكاماً عامة تتعلق بأمور التشريع والتوجيه والأخلاق ، مع اهتمامها بالقضايا العامة والخاصة التي ينبغي أنْ يربى عليها المجتمع المسلم أفراداً وجماعات .

ب) آيات مختارة تتحدث عن أحكام الميراث التي يظهر فيها على وجه دقيق كفالة الإسلام للعدالة وتحقيقه للمساواة ؛ وتوضح آية أخرى صفات عباد الرحمن ، تلك الصفات التي ينبغي لكل عبد أن يتصف بها، وأيات أخرى تحث وتأمر بالعدل والوفاء بالعهد.

ج) موضوعات متنوعة في الفقه الإسلامي تتناول أحكام النسل ، والرهن ، والوقف ، مبرزة لدوره في الحضارة الإسلامية ، بجانب أحكام أخرى تتعلق بالأيمان والنذور والدين .

د) دراسة موجزة عن خصائص الأمة الإسلامية التي هي ثمرة الرسالة الخاتمة، وقد فضلت على سائر الأمم ، وجُعلت شاهدة عليها ، وستظل باقية ما بقيت الحياة حاملة لمشعل الرشد والهداية .

هـ) بجانب موضوعات في العقيدة تتعلق بتوحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات التي هي أهم الأصول الاعتقادية والعملية .

و) باب عن الإيمان والعلم في السنة النبوية إكمالاً لما سبق دراسته في الصف الثاني عن هذين الموضوعين في القرآن الكريم .

وسيكون لهذا المقرر الدراسي نتائجه الطيبة بالجهود التي يبذلها الإخوة المعلمون والمعلمات لغرس روح الاعتزاز بالدين والانتماء لأمته في نفوس الطلاب والطالبات .

والله وحده هو المسؤول أنْ يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ونافعاً لأبنائنا وبناتنا وأمتنا والناس أجمعين .

لجنة الإعداد

المـــــدود

لقد درست أيها الطالب في مرحلة التعليم الأساسي أن المد ينقسم إلى قسمين :
(١) المد الأصلي الطبيعي . (٢) المد الفرعي .

(١) من منكم يعرف المد الطبيعي ؟
(٢) ما ملحقات المد الطبيعي ؟
(٣) عرِّف مد التمكين .
(٤) اذكر مثالاً لما يأتي :
(أ) مد بدل (ب) مد تمكين
(ج) مد طبيعي حرفي (د) مد صلة صغري
(٥) ما شروط مد الصلة الصغرى ؟
(٦) عرِّف مد العوض .

مشروعية المد :

أورد البخاري في صحيحه عن قتاده قال : سألت أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : " كان يمد مداً " وفي رواية النسائي " وكان يمد صوته مداً " .

مصطلحات المد :

- القصر معناه الحبس ويمد بمقدار حركتين .
- الإشباع أو الطول معناه مد حرف المد ست حركات .
- التوسط معناه مد حرف المد أربع حركات .
- الحركة معناها الفترة الزمنية اللازمة للنطق بحرف متحرك .

المد الفرعي

تعريف المد الفرعي :

هو المد الزائد عن المد الأصلي لسبب من الأسباب .

أسباب المد الفرعي :

(١) الهمز . (٢) السكون .

السبب الأول : **الهمز**

يندرج تحت هذا السبب المد المتصل والمد المنفصل .

(أ) المد المتصل :

هو أن يقع بعد حرف المد همز متصل في كلمة واحدة .

حكم المد المتصل :

الوجوب : أي وجوب مده مداً زائداً عن حركتين .

أمثلته :

جآء ، سمآء ، هنيئاً ، سوٓء ، الملائكة

إذا نظرت إلى جميع الكلمات السابقة وجدت الهمز جاء بعد حرف المد (الألف ، الواو ، الياء) .

(ب) المد المنفصل :

هو أن يقع بعد حرف المد همز منفصل عنه في كلمة أخرى .

حكم المد المنفصل :

الجواز أي جواز قصره على حركتين ، ومده بمقدار أربع أو خمس حركات ، سمى بالمنفصل لانفصال حرف المد عن الهمزة .

أنواع الانفصال :

الانفصال الحقيقي : هو أن يكون حرف المد ثابت في الرسم واللفظ ، وذلك نحو : ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ .

الانفصال الحكمي : هو أن يكون حرف المد محذوف في الرسم ، وثابت في اللفظ وذلك نحو : ياء النداء في :

أ. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ .

ب. ها التنبيه نحو هؤلاء – هَـٰٓأَنتُمۡ) .

التقويم :

(١) عرف المد الفرعي . (٢) ما أسباب المد الفرعي ؟

(٣) ما الفرق بين المد المتصل والمنفصل ؟ ومثل لكل منهما

(٤) ما حكم المد المتصل والمنفصل ؟

نشاط :

(١) استخرج من سورة النور خمسة مدود متصلة وخمسة مدود منفصلة .

(٢) اكتب في كراستك واشرح :

وجائز مد وقصر إن فصل كل بكلمة وهذا المنفصل

فواجب إن جاء همز بعد مد في كلمة وذا بمتصل يعد

السبب الثاني : **السكون**

يندرج تحته قسمان من أقسام المد :

أ . المد العارض للسكون . ب. المد اللازم .

(أ) المد العارض للسكون :

هو أن يقع بعد حرف المد أو حرف اللين سكون عارض من أجل الوقف .

أمثلته :

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ، ﴿ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ، ﴿ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ ، ﴿خَوۡف﴾ ، ﴿ قُرَيۡشٍ﴾ ، ﴿ مآب ﴾ ، ﴿ٱلصَّلَوٰة﴾ ، ﴿ ٱلتَّوۡرَىٰة ﴾ .

حكمه :

جواز قصره ومده .

مقدار مده :

يجوز فيه ثلاث أوجه

القصر والتوسط والطول (الاشباع) .

أقسام المد العارض للسكون :

أولاً : المد العارض للسكون المطلق :

هو أن يقع السكون العارض بعد حرف مد غير مسبوق بهمز في كلمة : مثل : (الرحيم ، الشكور ، المفلحون) وحكمه : جواز القصر أو التوسط أو الطول (٢ – ٤ – ٦ حركات) .

ثانياً : اللين العارض للسكون :

هو أن يقع السكون العارض بعد حرف اللين في كلمة ويسمى (مد اللين) وتسمى العارض ليناً لوقع السكون بعد حرف اللين مثل (بيت) خوف) قريش) . حكمه : جواز القصر أو التوسط أو الطول (٢ – ٤ – ٦ حركات) .

ثالثاً : المد المتصل العارض للسكون :

هو أن يقع السكون العارض في الهمز المتصل بعد حرف المد في كلمة واحدة مثل (السمآء) (رجآء) .

حكمه : جواز التوسط أو الطول (٤ – ٥ – ٦ حركات) .

رابعاً : البدل العارض للسكون :

هو أن يقع السكون العارض بعد حرف مد مسبوق بهمزة في كلمة مثل (إسرائيل) (مآب) وسمى بدلاً لكونه في الوصل بدلاً وفي الوقف مد بدل عارض للسكون .

حكمه : جواز القصر أو التوسط أو الطول (٢ – ٤ – ٦ حركات)

تنبيه

إذا أبتدأ القارئ تلاوته بأحد المقادير الثلاثة (٢ – ٤ – ٦) فإنه يستمر عليه إلى أن تنتهي تلاوته .

التقويم :

(١) أكمل الآتي :

يتدرج تحت السكون قسمان من أقسام المد هما :

أ. ..... ب. .....

(٢) عرف المد العارض للسكون ومثل له .

(٣) كم حركة تمد الكلمات الآتية عند الوقوف والوصل :

﴿ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ – ﴿ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ – ﴿ قُرَيۡشٍ ﴾ –

﴿خَوۡف﴾– ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ .

(٤) أذكر أقسام المد العارض للسكون ومثل له .

نشاط :

(١) اقرأ سورة الفاتحة مرة بقصر المد العارض، ومرة بتوسطه، ومرة بطول المد العارض للسكون وسجلها في شريط ، وأعرضه على معلمك .

(٢) استخرج من سورة إبراهيم :
أ. مد عارض للسكون المطلق .
ب. مد متصل عارض للسكون .

ب. المد اللازم :
هو أن يأتي بعد حرف المد سكون أصلى (ثابت وصلاً ووقفاً) سواء كان ذلك في حرف أو كلمة .
سبب التسمية : للزوم مده (ست) ٦ حركات . وهذا اللزوم سببه السكون .

أقسام المد اللازم :
أولاً : مد لازم كلمى :
وهو أن يقع السكون بعد حرف المد في كلمة واحدة . مثل(الطآمَّة) (الصآخَّه) . وينقسم إلى :
(١) مد لازم كلمى مثقل : وهو أن يقع بعد حرف المد سكون أصلى في كلمة بشرط أن يكون مشدداً نحو (الحآقَّة) (الصآخَّه) .
(٢) مد لازم كلمى مخفف : وهو أن يقع بعد حرف المد سكوناً أصلى خالى من التشديد مثل ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ ﴾ ، بموضعين في سورة يونس وليس في القرآن غيرهما .
ومن أقسام المد اللازم الكلمى المثقل أو المخفف مد الفرق وسمى بذلك لأنه يفرق بين الاستفهام والخبر ، وذلك في ثلاث كلمات في ستة مواضع وهي : ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾ سورة الأنعام (١٤٣ – ١٤٤) (ءآلله) سورة يونس (٥٩) سورة النمل (٥٩) (ءَآلْـَٔـٰنَ) سورة يونس (٥١ ، ٩١) .

ثانياً : مد لازم حرفي : وهو أن يقع السكون الأصلي بعد حرف المد في حرف من حروف الهجاء مثل ﴿ نۚ ﴾ سورة القلم (١) . وينقسم إلى :
(١) مد لازم حرفي مثقل : هو أن يأتي بعد حرف المد سكون أصلى في حرف من أحرف الهجاء بشرط أن يكون مشدوداً . مثل اللام في ﴿ الٓمٓ ﴾ والسين في (طسٓمٓ) .

(٢) مد لازم حرفي مخفف : هو أن يأتي بعد حرف المد سكون أصلى في حرف من أحرف الهجاء خالياً من التشديد . مثل ﴿ نۡ ﴾ ، ﴿ قۡ ﴾ ، والميم في ﴿ الٓمٓ ﴾ .

التقويم :

(١) عرف المد اللازم .
(٢) ما المد اللازم الكلمى ؟ مثل له .
(٣) ما المد اللازم الكلمى المخفف ؟ والمثقل ؟
(٤) ما أقسام المد اللازم الحرفي ؟ مع التمثيل له ؟

نشاط :

اكتب في كراستك واشرح الأبيات الآتية :

أقسام لازم لديهم أربعة وتلك كلمى وحرفي معه
كلاهما مخفف مثقــل فهــذه أربعــة تفصــل
فإن بكلمة سكون اجتمع مع حرف مد فهو كلمى وقع
أو في ثلاثى الحروف وجدا والمد وسطه فحرفي بدا
كلاهما مثقل إن أدغماً مخفف كل إذا لم يدغما

الحروف المتقطعة

وقعت حروف الهجاء المتقطعة في فواتح السور في تسع وعشرين سورة ، وهي أربعة عشر حرفاً مجموعة في قولك " صله سحيراً من قطعك " .
المد في الحروف المقطعة : تقسم الحروف المقطعة من حيث المد إلى أربعة أقسام هي :

(١) ما كان هجاؤه على ثلاثة أحرف ووسطها حرف مد ، وله سبعة أحرف مجموعة في قولك (سنقص لكم) ، وهذا القسم يُمد مداً لازماً مقداره ٦ حركات ، ومن أمثلته اللام من (الٓمٓ) والميم من (طسٓمٓ) .

(٢) ما كان هجاؤه على ثلاثة أحرف ووسطها حرف لين ، وهو حرف (العين) مثاله العين في فاتحه سورة مريم (كٓهيعٓص) وسورة الشورى (حمٓ - عٓسٓقٓ) ، وهذا القسم يجوز فيه : (الإشباع ٦ حركات ، والتوسط ٤ حركات) والإشباع الأفضل .

(٣) ما كان هجاؤه على حرفين ثانيهما حرف مد ، وحروفه خمسة مجموعة في (حى طهر) وهذا القسم يمد مداً طبيعياً (حركتين) هكذا (حا ، يا ، طا ، ها ، را) .

(٤) ما كان هجاؤه على ثلاثة أحرف ليس في أوسطها حرف مد ، وله حرف واحد وهو حرف الألف ، وهذا ليس فيه مداً أصلاً .

التقويم :

أكمل الآتي :

تقسم الحروف المقطعة من حيث المد إلى أربعة أقسام منها :

(١) ..... أوسطها ..... وله سبعة أحرف مجموعة في ( ) ومقدار مده .....

(٢) ..... أوسطها ..... وهو حرف .....

(٣) ..... ثانيها ..... و حروفه ..... مجموعة في .....

نشاط :

(١) ابحث عن حرف السين في أوائل السورة المفتتحة بالحروف المقطعة . وبين مقدار مده .

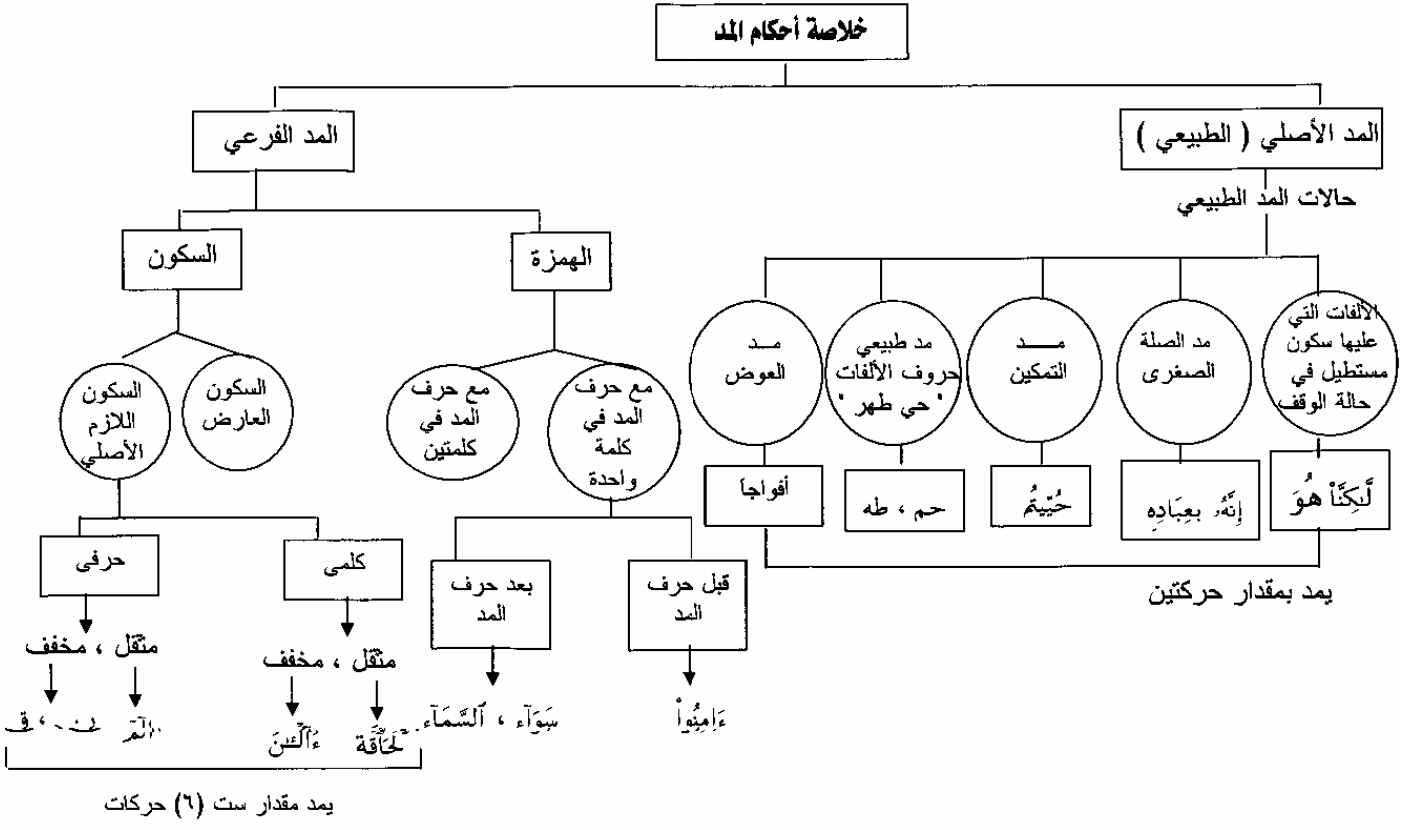
خلاصة أحكام المد
المد الأصلي (الطبيعي)
المد الفرعي
حالات المد الطبيعي
الألفات التي عليها سكون مستطيل في حالة الوقف
مد الصلة الصغرى
مد التمكين
مد طبيعي حروف الألفات " حي طهر "
مد العوض
لَٰكِنَّا۠ هُوَ
إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ
حُيِّيتُم
حم ، طه
أفواجا
يمد بمقدار حركتين
الهمزة
السكون
مع حرف المد في كلمة واحدة
مع حرف المد في كلمتين
السكون العارض
السكون اللازم الأصلي
قبل حرف المد
بعد حرف المد
كلمى
حرفى
ءَامِنُوا۟
سَوَآء ، ٱلسَّمَآء
مثقل ، مخفف
ٱلْحَآقَّةُ ءَآلْـٰٔنَ
مثقل ، مخفف
يمد مقدار ست (٦) حركات

سورة النور (للحفظ والتفسير)
مقدمة عن سورة النور

مكانة سورة النور :

هذه السورة عظيمة الشأن ، ويتجلى ذلك منذ بدايتها بلفظ التنكير :" سورة " الذي يفيد التفخيم والتعظيم ، وفيه إشارة لمزيد من الاهتمام بها دون نفي الاعتناء بغيرها ، ويؤكد ذلك قوله تعالى " أنزلناها " بصيغة الجمع ، ثم تكراره في قوله تعالى " وأنزلنا فيها آيات بينات " فهذا الإطناب في الأسلوب الذي ذكر فيه الخاص بعد العام ؛ فيه دلالة واضحة على الاعتناء بالسورة ، وتوجيه النظر إليها ، فهي سورة عالية القدر عند منزلها ، مما يدعو المؤمنين لإدراك قدرها ، والاعتناء بها ، ولهذا سميت بسورة النور ، وذكر فيها النور موصولاً بذات الله سبحانه وتعالى ، إذ هو جل شأنه نور السماوات والأرض ، تتكشف آياته ، ومظاهره في قلوب المؤمنين وأرواحهم ، متمثلة في الأخلاق والآداب التي يقوم عليها بناء السورة وهي أخلاق وآداب تهم الأسرة والجماعة . وقد ربطت تلك الآداب والأخلاق بالنور الإلهي الذي يشمل الكون كله ، فهو نور في الحياة والقلوب والضمائر ، مستمد من النور الإلهي الشامل للوجود جميعه .

وتبدأ السورة بإعلان قوي – عن فرض هذه السورة بكل ما فيها من حدود وتكاليف وآداب وأخلاق – فيه دلالة على أهمية الأخلاق وعمقها وأصالتها ، في عقيدة الإسلام ، وتوجيه الحياة الإنسانية .

مقاصد السورة وموضوعاتها :

والمقصد الأساسي الذي تدور عليه السورة في عمومها هو التربية ، مع بيان أنجع الوسائل ، والدعوة إلى استعمالها في الوصول إلى الغاية المنشودة . وهي وسائل مختلفة تختلف حسب المقتضى فتكون شديدة لدرجة الحد الذي لا ينبغي تجاوزه وإهماله ، ورقيقة حيناً آخر حتى تصل قلب المؤمن بنور الله وآياته الظاهرة المشاهدة في الكون .

وتعالج السورة الموضوع للوصول إلى الغاية بإعلان حاسم ، يتضح فيه بيان حد الزنا وفظاعة فعله ، وقطع الصلة بين الزناة والجماعة الإسلامية ، ذاكرة حد القذف وسبب التشدد فيه ، مع استثناء الأزواج من حد القذف والتفريق بينهم عن طريق الملاعنة ، ثم كان الحديث عن الإفك الذي ظنَّه المسلمون شراً ولكنَّه خير ، إذ كشف به من الأشياء ما غلب نفعه ضرره ، ومن بيان المشاكلة والمشابهة بين أصحاب الخبيثات بعضهم ببعض وأصحاب الطيبات بعضهم ببعض .

وتهتم السورة بالمجتمع المسلم وتعمل على حمايته من الجريمة وتبين لهم الوسائل الواجب سلوكها لاتقاء الجريمة ؛ مع ذكر مجموعة من الآداب وربطها بنور الله تعالى مع بيان مجافاة المنافقين للأدب اللازم مع رسول الله (ﷺ) ، في الطاعة والتحاكم في الأمور . وقبل ختام السورة تأخذ الآيات في بيان آداب الاستئذان والضيافة في محيط البيوت بين الأقارب والأصدقاء ؛ وآداب الجماعة المسلمة وهم أسرة واحدة مع رسول الله (ﷺ) . وتختتم السورة بإعلان ملكية الله لما في هذا الكون ، وعلمه المحيط ، ومرجع الناس إليه في يوم لا ريب فيه .

فضل سورة النور :

ذكر أهل العلم أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (علموا رجالكم سورة المائدة وعلموا نساءكم سورة النور) . وقال حارث بن مضرب رضي الله عنه – كتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه " أن تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور " وروى مثل ذلك عن عائشة – رضي الله عنها – ولا غرابة في ذلك لأنَّها تناولت قضية من أخطر القضايا الاجتماعية وهي مسألة الأسرة المحفوفة بالمخاطر ، بما يعترض طريقها من المشاكل فالعقبات المؤدية إلى الانهيار فالدمار، عدا ما اشتملت عليه من حكم عالية وآداب رفيعة وتوجهات رشيدة ، تؤسس للحياة الكريمة ببناء الأسرة على دعائم راسخة مرتكزة على تعظيمها وتماسكها وصونها من العواصف .

ولعل المتتبع لأحوال العالم ، وما يدور من مكائد لهدم الأسرة يحس بعظمة هذه السورة ، الداعية إلى الستر والعفاف ، وبناء الحياة الإنسانية على الاستقامة والتماسك والبعد عن الانحلال الخلقي ، وحفظ الأمة من العوامل التي تهوي بهـا إلى بؤرة الفساد والإباحية ، فيضيع الإنسان ويذهب الشرف والعِرض .

معنى كلمة سورة :

سميت سورة القرآن (سورة) لسموها وشرفها ، ولأنها صادرة من الله سبحانه العلي العظيم ، وداعية لأمور عظيمة تصلح بها حياة الناس في العاجلة والآجلة .

والسورة في اللغة : تعني المنزلة العالية ، والمكانة الرفيعة .

قال الشاعر :

ألم تر أنَّ الله أعطاكَ سورةً ترى كلَّ ملكٍ دونها يتَذبْذبُ

أي أنَّ الله أعطاه مكانة يعجز الملوك عن الوصول إليها .

والسورة في الاصطلاح : عبارة عن مجموعة من آيات القرآن محددة البداية والنهاية شرعاً ، بالنقل الثابت عن النبي (ﷺ) عن طريق الوحي ، بواسطة أمين الوحي – جبريل عليه السلام .

ومن خلال المعنى اللغوي والاصطلاحي ، يستبين إتفاق المعنيين في علو المنزلة ، والمكانة الرفيعة ، إذ أنَّ آيات القرآن عالية في أسلوبها ، عظيمة فيما تدعو إليه ، معجزة من جهة مصدرها .

وسورة النور إحدى هذه السور العظيمة التي نزلت بعد الهجرة بالمدينة المنورة ، التي قامت للإسلام فيها دولة ذات سلطان ، فعالجت الأحكام التشريعية واهتمت بأمور التوجيه والأخلاق ، والقضايا العامة والخاصة التي يجب تربية المسلمين جماعات وأفراداً عليها ، حتى يشاد بناء المجتمع الإسلامي قوياً متماسكاً ثابتاً أمام كل التحديات . وأنارت طريق الحياة للناس ببناء الفضائل والآداب والتشريع والقواعد والأحكام ، كما تضمنت آية فيها إشعاعات النور الرباني وقبس من نور الله على عباده ، وهي قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي منور السماوات والأرض وهاديها ومن فيهما . فقد أضاءت السماوات والأرض بنوره – سبحانه وتعالى – واهتدى الحائرون والضالون إلى السبيل الأقوم بآياته .

تدريب :

١. لماذا بدأت هذه السورة بتنكير كلمة سورة ؟
٢. ما المقصد الأساسي لهذه السورة ؟
٣. وضّح أهم الموضوعات التي عالجتها هذه السورة .
٤. لماذا سميت بسورة النور ؟
٥. أذكر ما تعرف من وسائل خبيثة تهدف إلى تدمير الأسرة ، وقارن بين هذه الوسائل ووسائل الإسلام – مع اختلاف الغايات .

عقوبة الزنا

الآيات (١-٣)

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ ﴾

المعاني اللغوية :

أنزلناها : أوحينا بها إلى رسول الله (ﷺ) بواسطة جبريل عليه السلام .
فرضناها : أوجبنا ما فيها من الأحكام على سبيل القطع والإلزام .
تذكرون : تتقون المحارم وتتعظون .
الزنا : هو أن يأتي رجلٌ امرأة بفعل الفاحشة بغير أنْ تكون بينهما علاقة الزوجية المشروعة .

سبب النزول :

عن عبد الله بن عمرو قال : (كانت امرأة يقال لها أم مهزول تزني . فأراد رجل من أصحاب النبي (ﷺ) زواجها فأنزل الله تعالى ﴿ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ .

ورد أيضاً أنَّ رجلاً يقال له مرثد بن أبي مرثد ، كان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة ؛ وكانت امرأة بغي يقال لها عناق ؛ وكانت صديقةً له ، فاستأذن النبي (ﷺ) أن ينكحها ، فلم يرد عليه بشيء حتى نزل قوله تعالى:﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ فقال رسول الله (ﷺ) يا مرثد " الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة فلا تنكحها " .

البيان العام :

هذه سورة عظيمة الشأن أنزلها الله – سبحانه وتعالى – بواسطة جبريل عليه السلام إلى رسوله محمَّد (ﷺ) ، محدداً فيها أحكاماً بيّنة ، في آيات واضحة الدلالة بما اشتملت عليه من أحكام تشريعية ، لتكون هدىً ونبراساً للمؤمنين ، ليعتبروا ويتعظوا بهذه الآيات البينات ، حتى يستطيعوا تحقيق العفة وذلك بحماية الأعراض وصونها ، ولهذا نصّ على فرضيتها دون غيرها من السور .

عقوبة الزاني :

ومما شرع الله لتحقيق هذه الأغراض المتعلقة بحماية الأعراض **جلد الزناة غير المحصنين مائة جلدة، تغريب عام**، عقوبة لهم على هذا الفعل الشنيع ، أمَّا عقوبة الزنا بعد الإحصان فهي **الرجم حتى الموت** ، وقد ثبت هذا القول **بالسنة القولية والفعلية** عن النبي (ﷺ) . ويجب أن يقام الحد على من تثبت عليه جريمة الزنا بدون تعطيل ، أو رحمة أو رأفة على الجاني تصدهم عن تنفيذ ما قرر من الحد للزاني أو الزانية، وذلك تصديقاً للإيمان بالله واليوم الآخر ، وتحقيقاً لما يستلزمه ويقتضيه .

ولشناعة الزنا وقبحه ، وحتى تكون العقوبة بالغة في الزجر ومانعة من الإقدام على هذه الفعلة ، أمر الله سبحانه وتعالى أنْ تتم العقوبة بحضور جماعة من المؤمنين لأنّ ذلك أشدّ من التعذيب الناجم من العقوبة ، وقد أخذت بهذا القوانين الوضعية حديثاً فيما يسمى بعلانية المحاكمة وشهادة المجتمع على الجاني ، وفي ذلك تحقيق لأقصى أنواع الزجر لمن تحدثه نفسه بالاقتراب من هذه الفعلة الشنيعة .

حكم زواج الزانية :

ولما كان الزنا من الفواحش الكبيرة التي لا تناسب العفيفين الطاهرين والعفيفات الطاهرات – فإنه لا يليق بالمؤمن أن يتزوج من الزانية ؛ وإنما يتزوج العفيفة الطاهرة ، أمَّا الزانية فيتزوجها أمثالها ومن هم على شاكلتها في الخسة والدناءة ؛ فالطيب لا يناسبه إلا طيب ؛ والخبيث لا يناسبه إلا خبيث .

توجيه الآيات :

١. تنبه الآيات إلى خطورة الزنا ، وذلك بتشريع عقوبته الأليمة الموجعة من الله سبحانه وتعالى .
٢. إنّ المؤمن طاهر عفيف ، عليه أنْ يبحث عن الطاهرات مثله ، ويبتعد عن الزانيات الخبيثات فهن لا يناسبنه .

٣. يجب تنفيذ حدود الله تعالى على من يعتدون على حرمات الله بدقة وبدون مجاملة ورأفة ، وفي تنفيذها دليل على صدق الإيمان .
٤. يجب تنفيذ حدود الله بمرأى من الناس حتى يخاف أهل الفجور ويكفوا عن ارتكاب الجرائم .

تدريب :

١. لماذا نهى الله المؤمنين عن الزواج بالزانيات ؟
٢. ماذا يترتب على شهود بعض المؤمنين لعقوبة الزنا ؟
٣. أذكر أهم الآثار الاجتماعية والصحية التي تترتب على انتشار الزنا في المجتمع .
٤. أشرح العبارة الآتية (العقوبات زواجر جوابر) .
٥. لماذا شرع حد الزنا ؟

حكم القذف بالزنا وحكم اللعان

الآيات (٤-١٠)

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

المعاني اللغوية :

يرمون : يتهمون زوجاتهم بالزنا .
المحصنات : العفيفات الحرائر البالغات العاقلات المسلمات .
لعنة الله عليه : بعده وطرده من رحمة الله .
يدرأ : يدفع .
غضب الله عليها : سخطه والبعد من فضله وإحسانه .

البيان العام :

في الآيات السابقة بيّن الله سبحانه وتعالى عقوبة الزنا ، وشدد في إقامتها ، غير أنَّ العقوبة وحدها غير كافية في صيانة المجتمع وحمايته ؛ ولذا لا بد من إيجاد ضمانات تقي المجتمع ، وتقود إلى تطهير الجناة من رائحة الجريمة ؛ ولهذا تستمر الآيات لتبعد ظل الجريمة من الجماعة ؛ فتذكر صنفاً من الناس ، يقذفون الناس ويتهمونهم بالزنا .

القذف وما يترتب عليه :

وقد ذكر الله المحصنات لأنَّ ذلك أهم وأنَّ رميهن بالفاحشة أشنع وأنكى للنفوس ؛ وقذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى ؛ فإنَّ من يفعل ذلك فعليه أنْ يأتي بأربعة شهود عدول ممن تقبل شهادتهم ، فإن عجزوا عن ذلك ضرب كل منهم ثمانين جلدة عقوبة جسدية ؛ ولا تقبل لهم شهادة أبداً جزاءً لهم على ما ارتكبوا من جرم ؛ ويعتبرون خارجين عن طاعة الله وحدوده وشرعه الذي شرعه ؛ غير أنَّ رحمة الله التي سبقت غضبه تفتح الباب ليلاً ونهاراً للخاطئين ؛ فمن تاب وأصلح عمله ورجع عمّا قال وندم على ما تكلم به ، فإنّ الله غفور رحيم يقبل توبة من تاب وأصلح .

حكم اللعان وما يترتب عليه :

ما سبق كان حكم القذف العام ؛ ولكن استثني منه أن يقذف الرجل امرأته ، فإنَّ مطالبته أن يأتي بأربعة شهداء فيه إرهاق له وعنت ، والمفروض ألا يقذف الرجل زوجته إلا صادقاً لما في ذلك من التشهير بعرضه وشرفه وكرامة أبنائه . لذلك جُعِل لهذا النوع من القذف حكم خاص تيسيراً على الأزواج . يتناسب ودقة الحال وحرج الموقف ، وذلك حين يطلع الزوج على فعلة زوجته ؛ وليس له شاهد إلا نفسه ؛ فعندئذٍ يحلف بالله أربع مرات أنَّه لصادق في دعواه عليها بالزنـــا ، ويحلف يميناً خامسة أنَّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين . وتسمى هذه شهادات لأنَّه الشاهد الوحيد ؛ فإن فعل ذلك فرّق بينهما تفريقاً أبدياً ، وثبت عليها حد الزنا وهو الرجم ، لأنَّها محصنة فإن أنكرت ورغبت في درء الحد عنها ، فإنَّها تحلف أربع مرات أنَّه كاذب فيما رماها به . وتحلف يميناً خامسة بأنَّ غضب الله عليها إن كان صادقاً وهي كاذبة ، وبذلك يدرأ عنها الحد . ويفرق القاضي بينها وبين زوجها بالملاعنة ، ولا ينسب الولد للزوج إن كانت حاملاً ، بل ينسب لها . ولا يُقذف الولد ، ومن يقذفه يحد .

ووضح الله سبحانه وتعالى أنَّ هذا الفعل قبيح وشنيع ، ولولا رحمته بالمؤمنين وفضله عليهم وستره لهم ، لعجل لهم العقوبة وأهلكهم ، فهو كريم في قبول التوبة حكيم فيما شرع .

توجيه الآيات :

١. في حد القذف بالزنا دلالة على عظم حرمة الزنا وإثمه حيث كان الرمي حده ثمانون جلدة ، ورد الشهادة والحكم بالفسق .
٢. في الآية دعوة للطهر والعفاف وعلاج الداء قبل استفحاله .

٣. في تشريع حكم اللعان رحمة واسعة من الله بعباده حيث خلَّصهم من حرج كانوا يجدونه وضيق يعيشون فيه .
٤. يجب الستر على المؤمنين والمؤمنات منعاً لإشاعة الفاحشة .

تدريب :

١. قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ..... ﴾

(أ) من هن المحصنات ؟
(ب) بماذا يكون الرمي ؟
(ج) ما حكم القاذف الذي يعجز عن إثبات ما قذف به ؟

٢. أين يظهر فضل الله ورحمته بالعباد من خلال قراءتك للآيات ؟
٣. ما الضرر الذي يسببه قذف المحصنات في المجتمع ؟
٤. من خلال دراستك لحكم القذف في الصف الثاني. ما شروط حد القذف؟

حادثة الإفك (١)

الآية رقم (١١)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

المعاني اللغوية :

الإفك : أقبح الكذب وأفحشه .
عصبة : جماعة من الأربعة فصاعداً .
الإثم : الذنب والخطيئة .
تولى كبره : تولى معظمه .

أسباب النزول :

نزلت آيات الإفك لتبرئ السيدة عائشة رضي الله عنها وصفوان بن المعطل من التهمة بالزنا التي اتهمهما بها عبد الله بن أبي بن سلول وجماعته في غزوة بني المصطلق.

السيدة عائشة تفتقد عقدها :

وتروي السيدة عائشة القصة بقولها : (... فخرجت معه بعد أن أنزل الحجاب ، وأنا أحمل في هودج ، وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله من غزوته تلك ، وقفل ، ودنونا من المدينة ، آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل ، فلمست صدري ، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه ؛ وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني ، فاحتملوا هودجي ، فرحلوه على بعيري ، وهم يحسبون أنِّي فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم ؛ وإنَّما نأكل العلقة من الطعام ؛ فلم يستنكر القوم حين رفعوه خفة الهودج ، فحملوه ، وكنت جارية حديثـــة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منزلهم وليس فيه أحد منهم . فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أنَّهم سيفقدونني فيرجعون إليّ فبينما أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت .

صفوان بن المعطل يعثر على السيدة عائشة :

فكان صفوان بن معطل السلمي من وراء الجيش ، فلما رآني عرفني ، فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمت بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ؛ وهوى حتى أناخ راحلته ، فوطئ على يديها ، فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش بعد أنْ نزلوا في نحر الظهيرة .

مؤامرة الأفك :

وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري ، فبينما الناس كذلك إذ هجمت عليهم فخاضوا في حديثي فهلك من هلك ، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي سلول ؛ فقدمنا المدينة واشتكيت بها شهراً ، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك ، ويريبني في وجعي أنِّي لا أعرف مـــن رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنَّما يدخل فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ ثم ينصرف . فذلك الذي يريبني منه ، ولا أشعر بالشر حتى نقهت .

إطلاع السيدة عائشة بالتهمة الموجهة لها :

فخرجت أنا وأم مسطح قبل " المناصع " وهو متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلاّ ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف ، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط ، فأقبلت أنا وأم مسطح حين فرغنا من شأننا – نمشي ، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح ! فقلت لها بئسما قلت ، أتسبين رجلاً شهد بدراً ؟ فقالت : يا هنتاه ألم تسمعي ما قال ؟ فقلت : وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضاً إلى مرضي .

استئذان السيدة عائشة في الذهاب إلى بيت أبيها :

فلما رجعت إلى بيتي دخل رسول الله (ﷺ) فقال : كيف تيكم ؟ فقلت : أتأذن لي أن آتي أبويّ ؟ وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما فأذن لي . فأتيت أبويّ ، فقلت لأمي : يا أماه ماذا يتحدث الناس به ؟ فقالت : يا بنية هوني على نفسك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلاّ أكثرن ، فقلت : سبحان الله ! ولقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي .

مشاورة رسول الله (ﷺ) لأصحابه في حديث الأفك :

دعا رسول الله (ﷺ) علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد – رضي الله عنهما – حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله . قالت : فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم في نفسه من الود لهم ، فقال أسامة : هم

أهلك يا رسول الله ، ولا نعلم والله إلاّ خيراً ، وأما علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تخبرك . فدعا رسول الله (ﷺ) بريرة ، فقال لها أي بريرة : هل رأيت فيها شيئاً يريبك ؟ فقالت : لا والذي بعثك بالحق نبياً إن رأيت منها شيئاً أغمضه عليها أكثر من أنَّها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله .

استمرار حزن وبكاء السيدة عائشة :

قالت : وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي جفن ولا أكتحل بنوم ؛ فأصبح أبواي عندي . وقد بكيت ليلتين ويوماً حتى أظن أنَّ البكاء فالق كبدي . فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ؛ فجلست تبكي معي .

الرسول (ﷺ) يطلب من السيدة عائشة التوبة :

فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا رسول الله (ﷺ) ، ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم ما قيل فِيّ ما قيل قبلها ، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء ، فتشهد حين جلس ، ثم قال : " أما بعد فإنَّه بلغني عنكِ كذا وكذا ؛ فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله تعالى . وإن كنتِ ألممتِ بذنبٍ فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه . فإنَّ العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب ، تاب الله عليه " فلما قضى رسول الله (ﷺ) مقالته خلص دمعي حتى ما أحس منه دمعة ، قلت لأبي : أجب عني رسول الله (ﷺ) فيما قال ، قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله (ﷺ) ، فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله (ﷺ) . فقالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله (ﷺ) . قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ، إنِّي والله قد عرفت أنْ قد سمعتم بهذا حتى استقرّ في أنفسكم حتى كدتم أن تصدقوا به ، فإنْ قلت لكم إنِّي بريئة (والله يعلم إنِّي بريئة) لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إنِّي منه بريئة لتصدقني ، وإنِّي والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف : (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) ثم توليت فأضجعت على فراشي ، وأنا والله حينئذٍ أعلم أنِّي بريئة وأنَّ الله سيبرئني ببراءتي .

نزول الوحي ببراءة السيدة عائشة :

والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحيٌ يتلى ، ولشأني كان أحقر من نفسي من أن يتكلم الله فِيّ بأمر يتلى . ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله (ﷺ)

رؤيا في المنام يبرئني الله بها . قالت والله ما رام رسول الله (ﷺ) مجلسه ولا خرج من البيت أحدٌ حتى أنزل الله على نبيه ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرحاء عند الوحي حتى أنَّه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في الليل الشاتي من ثقل القول الذي ينزل عليه . قالت : فلما سُري عن رسول الله (ﷺ) وهو يضحك ، كان أول كلمة تكلم بها أنْ قال : أبشري يا عائشة ، إنّ الله قد برأك ، فقالت لي أمي قومي إليه ، فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله ؛ هو الذي أنزل براءتي ، فأنزل الله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ عشر الآيات كلها ، فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر – وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره : والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال في عائشة . فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فقال أبوبكر إنِّي لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبداً .

قالت عائشة : وكان رسول الله (ﷺ) يسأل زينب بنت جحش عن أمري وما سمعت . فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما رأيت إلا خيراً .

قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك ، وكان الذي يتكلم به مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبد الله بن أبي سلول ، وهو الذي تولى كبره منهم .

البيان العام :

هذه بداية آيات عشر . برأ فيها الله سبحانه وتعالى السيدة عائشة رضي الله عنها مما اتهمت به زوراً وبهتاناً من المنافقين ، وفي هذه الآيات تظهر حماية الله سبحانه وتعالى لعرض النبي (ﷺ) ؛ وغيرته عز وجل لكرامة السيدة عائشة . وفي هذا تكريم للنبي (ﷺ) ودفاع عن زوجه فإنَّ الله يدافع عن الذين آمنوا ويكره كل خائن كذاب .

دوافع الأفك :

وحددت الآيات أنَّ الذين جاءوا بالإفك ، واختلقوا هذا الكذب البعيد عن الصدق : جماعة صغيرة منكم تآمرت عليه واجتمعت حوله، فهي ذات هدف واحد. ولم يكن عبد الله بن أبي سلول وحده هو الذي أطلق ذلك الإفك إنَّما هو الذي تولى معظمه ، وهو يمثل عصبة المنافقين الذين عجزوا عن حرب الإسلام جهرة .

فتواروا وراء ستار الإسلام ، ليكيدوا للإسلام خفية . وكان حديث الإفك أحد مكائدهم القاتلة ، خُدع فيها بعض المسلمين فخاض منهم من خاض في حديث الإفك . أمَّا أصل التدبير فكان عند تلك العصبة ، وعلى رأسها ابن سلول الحذر الماكر الذي لم يظهر بشخصه في المعركة ولم يقل علانية ما يؤخذ به ، فيقاد إلى الحد .

عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم :

وطمأن الله المسلمين بأنَّ هذا الحادث ليس شراً لهم بل فيه خير كثير . فهو خير لعائشة رضي الله عنها ، حيث برئت منه بالقرآن فكانت كمريم البتول . وأصبح التصديق ببراءتها جزءاً من إيمان كل مؤمن ، وكل من شك فيه كفر . كما أنَّ هنالك خيراً كشف به للجماعة المسلمة كيد أعدائها . وخبث عناصرها وسوء وسائلها لتستعصم بربها وتحذر مكر أعدائها ، ومنه أيضاً رعاية الله لها وتوجيهها إلى أفضل الآداب وأنبل الأخلاق .

وإذا كان هذا وغيره من الخير الذي يعلمه الله ، ونال به المسلمون كسباً عظيماً ، فقد باء المفترون بالإثم العظيم بعد فشل تدبيرهم ، وعاد مكرهم عليهم . ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله . وسينال زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول عذاباً عظيماً لتوليه أمر الافتراء وإشاعة البهتان وهو شأن يناسبه لما في قلبه من مرض النفاق .

توجيه الآيات :

١. أحدثت حادثة الإفك أذي للجماعة الإسلامية .
٢. إنَّ النفاق داء خطير وعلى المسلمين أن يحذروه .
٣. في تماسك المسلمين وتعاضدهم القوة التي تحميهم من كيد أعدائهم .
٤. المسلم كيّس فطن لا يُخدع بظاهر القول .
٥. تحققت للمسلمين فوائد كثيرة من حديث الإفك فنالوا خيراً كثيراً .
٦. إنَّ الله سيجازي كل مفتر بحسب حجم جرمه .
٧. ضرورة التثبت والتأكد بالدليل القاطع من أي شائعة قبل تناقلها .

تدريب :

١. كيف كان النبي (ﷺ) يختار من أزواجه من تصحبه عندما يخرج في غزواته ؟
٢. من الذي أشاع حديث الإفك ؟
٣. اذكر الفوائد التي جناها المسلمون من حديث الإفك .

حادثة الإفك (٢)

الآيات (١٢-٢١)

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾

المعاني اللغوية :

لولا : كلمة بمعنى هلا تفيد الحث على فعل ما بعدها .

مبين : ظاهر مكشوف .

أفضتم : خضتم واندفعتم فيه .

تلقونه : تتلقونه ويأخذه بعضكم من بعض .

سبحانك : كلمة يقصد بها التعجب من الأمر العظيم .
يعظكم : ينصحكم .
تشيع : تنتشر .
الفاحشة : ما يشتد قبحه من الذنوب .
خُطوات : مفردها خُطوة " بالضم " ما بين القدمين من المسافة ويراد بها نزغات الشيطان ووساوسه .
زكـــا : طهر من دنس الذنوب .

البيان العام :

هذه الآيات تتصل بسابقتهـــا في الحديث عن الإفك ؛ مما فيه بيان لحال الخائضين ، وما اكتسبوه من الجرم الفظيع في اتهام إحدى أمهات المؤمنين التي جاءت تبرئتها من الله – سبحانه وتعالى – العالم بخبايا النفوس وخفايا الصدور .

والسمة الغالبة في هذه الآيات التوبيخ والزجر ، إذ اللائق بالمؤمنين أن يظنوا بأنفسهم خيراً . وهذا الظن بالخير هو الذي تقوم عليه الروابط الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ولا ينبغي أن يظن بعض المسلمين ببعضهم سوءاً إلا فيما كان له أساس قاطع ، ولذا كان من اللائق بالمسلمين ألا يسرعوا إلى تهمة من عرفوا بالطهارة والنزاهة ، بل كان من الواجب عليهم أن يقيسوا الأمور بمقياس صحيح على أنفسهم ، فإنَّ ما لا يليق بهم لا يليق بزوجات رسول الله (ﷺ) . ولا يليق بصاحبه الذي لم يعلم عنه إلا خيراً .

موقف أهل الإيمان من الأفك والبهتان :

وقد روي أنَّ أبا أيوب الأنصاري قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها ؟ قال : نعم وذلك الكذب . أكنتِ فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك .

وفي هذا بيان لموضع الإيمان في نفوس المؤمنين ، وأنَّه مقياس صحيح وأنَّ المسلمين جميعاً سواء ، وكان الواجب عليهم ألا يكتفوا بالظن الحسن ، بل كان الواجب على كل واحد منهم أن يقول عند سماعه للخبر – بدون شك أو ارتياب – هذا كذب ملفق ، وفرية صريحة وبهتان عظيم لا أساس له من الواقع .

وإذا لم يظن المؤمنون خيراً كما هو مقتضى الإيمان ؛ فلماذا لم يأت أصحاب حديث الإفك بأربعة شهداء لإثبات ما جاءوا به ؛ فإذا عجزوا عن الإتيان بأربعة شهداء لإثبات التهمة ، فقد برهنوا على كذبهم وفجورهم .

ولقد غفل المؤمنون عن الظن الحسن بأنفسهم ليصفوا به زوج رسول الله (ﷺ) وصاحبه صفوان بن المعطل الذي شهد بدراً . وكذلك غفلوا عن طلب البينة التي تثبت بها التهمة ، فتركوا الخائضين يخوضون في عرض رسول الله ، وهو أمر عظيم يستحق العقاب العاجل ، لولا تفضل الله بالإمهال ليتوب الفاجرون في الدنيا ، ورحمته بالمغفرة والعفو في الأمر لعجل لهم العقاب بسبب خوضهم في الإفك بالألسن بلا تدبر ولا ترو ، ولا فحص ، ولا تفكير ، وإمعان نظر . تسألون الأسئلة المكررة لبعضكم ، وأكثرتم الكلام فيه ، وقلتم بأفواهكم أقوالاً لا تعلمون حقيقتها ، وحسبتم ذلك أمراً يسيراً وهو من أعظم الأمور وأخطرها عند الله سبحانه وتعالى . لأنَّ في ذلك تدنيس لبيت النبوة ووصفه بأكبر الكبائر .

توبيخ من ترك الأدب مع الأشراف :

وتستمر الآيات في توبيخ المؤمنين وزجرهم فتذكرهم بالآداب التي كان ينبغي عليهم أن يتبعوها أدباً بعد أدب ؛ هذه الآداب التي كان عليهم أن يتبعوها عند سماع حديث الإفك وهي أن يستنكروا ويقولوا : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، ولا أن نخوض فيه بلا علم ولا حجة ، بل عليكم أن تنزهوا الله – سبحانه وتعالى – وتقدسوه من أن يرضى لأكرم خلقه وأشرفهم عنده أن تحل بأهله تلك الفاحشة ، فإنَّ هذا الذي يقال إنما هو بهتان عظيم ؛ واختلاق أثيم يدعو للتعجب ؛ فهو لا يناسب المؤمنين .

ووعظهم الله وأرشدهم إلى ما ينبغي أن يفعلوه حتى لا يعودوا إلى مثله أبداً – إن كانوا مؤمنين – لأنَّ هذا الفعل وأمثاله من قول الفواحش يتنافى مع أصل الإيمان وحقيقته ، ويسن الله سبحانه وتعالى لعباده الآيات التي تدل على حكمته وعلمه بما يصلح عباده ، فهو عليم بخلقه وبأحوالهم الخاصة والعامة والسرية والجهرية حكيم يضع الأمور في نصابها .

جزاء من يساعد في نشر الفاحشة :

إنَّ الذين يحبون أن تشيع وتنتشر الفاحشة وأخبارها بين الناس ؛ وذلك بخلق الاتهامات الكاذبة ، ويعملون على نشرها لإشاعة الفاحشة في المجتمع يستحقون العذاب المؤلم في الدنيا والآخرة .

وألفاظ القرآن شاملة لجميع صور إشاعة الفاحشة ، والانحلال الخلقي ، كإنشاء دور للفاحشة والبغاء ، ونشر القصص والروايات والأشعار والغناء والصور والألعاب التي تثير الغرائز الدنيئة ؛ كما أنَّها تشمل المجالس والنوادي والفنادق

وأنواع الرحلات الخلوية التي يعقد فيها الرقص والطرب ، ويشترك فيه الرجال والنساء بصورة خليعة .

وإذا كان مجرد حب الفاحشة كافياً لاستحقاق العذاب فإنَّ مشيعها بالفعل أعظم وأشد جرماً ؛ لأنَّ سبب نشوئها هو الحقد والحسد على ما ينعم به المجتمع الإسلامي من تماسك واستقرار ، وحب ووئام . وكان الهدف من إشاعة حديث الإفك هو تقويض أركان ذلك المجتمع ، حتى يسهل هدمه وإزالته .

لطف الله تعالى وفضله على العصاة :

ولولا فضل الله ، ورحمته بعباده ، وبسطه يده للعاصين بالليل والنهار ، ليقبل توبتهم ، لأهلك المفترين واستأصلهم ، فالله سبحانه وتعالى رؤوف رحيم يتوب على من رجع إليه وآب ، فهو سبحانه وتعالى إذ يحذرهم ، يرشدهم إلى ما فيه خيرهم ويدعوهم إلى اتباع السبيل الأقوم .

التحذير من اتباع سبل الشيطان :

وينادي الله الجماعة المؤمنة بوصفها جماعة ملتزمة بتعاليم الشرع بمقتضى إيمانها ، وهو نداء يسرهم ؛ لأنه شهادة من الله سبحانه وتعالى لهم بهذه الصفة المميزة – يخاطبها ناهياً لها عن اتباع وساوس الشيطان واتباع آثاره ومسالكه ، والإصغاء إلى ما يلقيه ؛ فإنَّ من يتبع سبيله وسيرته يستحق العذاب لسلوكه طريق الغواية واتباع دعوته لارتكاب الفواحش والمنكرات ، وقد شاءت حكمته تعالى أن يبتلي الخلق بهذا الشيطان اللعين الذي تعهد لله بغواية الإنسان ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧] .

ولولا فضل الله ورحمته ، بالتوفيق للتوبة التي تمحو الذنوب ، وشرعه الحدود المكفرة للخطايا والذنوب ، ما تطهر أي إنسان من أوزاره . وهو – سبحانه وتعالى – سميع لأقوال العباد عليم بنياتهم وإخلاصهم ، فليعرف المسلمون – جماعة وأفراداً – هذا الفضل العظيم ؛ وليشكروا الله – عز وجل – على تفضله ، وآلائه ، وليتضرعوا إليه خاشعين وجلة قلوبهم ، فهو المنعم المتفضل ، الغفور الرحيم .

توجيه الآيات :

١. اشتملت الآيات على توبيخ المفترين وزجرهم في عدد من المواضع في هذه الآيات .
٢. وضحت الآيات أنَّ ما حدث من بعض المؤمنين فيمن عرفوا بالطهارة والنزاهة لا يستقيم مع صدق الإيمان .
٣. مما يدل على كذب دعاوى المفترين عدم إتيانهم بشهود يثبتون دعواهم .
٤. على المؤمنين أن يلتزموا في حياتهم السبيل الأقوم ويتجنبوا حديث الشيطان .

تدريب :

١. لا يقبل المؤمن خدش عرضه . فكيف تقبّل بعض المؤمنين اتهام البيت النبوي؟
٢. لماذا لم تدفع السيدة عائشة التهمة عن نفسها ؟
٣. ماذا ترى في تبرئة الله سبحانه وتعالى للسيدة عائشة ؟
٤. إذا كان حب إشاعة الفاحشة يوجب العذاب العظيم ؛ فما مصير المشيعين لها بالفعل ؟

عودة على قصة الإفك

الآيات (٢٢–٢٦)

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

المعاني اللغوية :

لا يأتل	:	لا يحلف .
أولو الفضل	:	أصحاب الريادة في الدين .
السعة	:	الغنى .
المحصنات	:	العفيفات .
الغافلات	:	التقيات القلوب ، فلا يقع منهن فعل الفواحش .
لعنوا	:	طردوا وأبعدوا من رحمة الله .
دينهم	:	جزاءهم .
الحق	:	الثابت ، العادل الذي لا جور فيه .

سبب النزول :

١. كان أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – ينفق على ابن خالته مسطح ابن أثاثة ، وهو من المهاجرين البدريين المساكين ، فلما وقع الإفك وقال فيه مسطح ما قال ، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبداً ، فجاء مسطح فاعتذر وقال : إنَّما كنت أغشى المجالس فأسمع ولا أقول . فقال له أبو بكر : لقد ضحكت وشاركت فيما قيل فنزل قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ... أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ .

٢. أخرج الطبراني عن الضحاك قال : أنزلت هذه الآية في نساء النبي (ﷺ) خاصة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ﴾ . كما أخرج ابن جرير عن عائشة قالت : " رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك . فبينما رسول الله (ﷺ) عندي إذ أوحي إليه ثم استوى جالساً فمسح وجهه وقال : يا عائشة ابشري ، فقلت بحمد الله لا بحمدك ؛ فقرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ ... أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ .

البيان العام :

أثر حادثة الأفك على أبي بكر :

أصاب أبا بكر الصديق من حديث الإفك ألم عظيم مسه في أعماق قلبه . وذاق مرارة الاتهام لعرضه وبيته ، فأقسم ألا يعطي مسطحاً ولا ينفعه بنافعة ، لما ناله من نقل للفرية العظيمة . ولكنَّ الله – سبحانه وتعالى – الذي يتولى المؤمنين ، وجّه أبا بكر ونهاه عن فعل ما أقسم عليه ، شاهداً له بالفضل في الدين ، والخلق والإحسان ، وقد منّ الله عليه بالمال والثروة ؛ وأمره أن يعطي أقاربه كمسطح الفقير الذي هاجر من مكة إلى المدينة ، وشهد بدراً ، وكذلك فقراء المسلمين

والمهاجرين الذين تركوا ديارهم ، وأحبابهم ، وأموالهم حباً في نصرة دين الله وإيثاراً لحياة الإيمان مع إخوانهم الأنصار الذين كانوا أنموذجاً في التضحية والإيثار ؛ فاستجاب أبو بكر لأمر الله ، وأقسم على الاستمرار في الإنفاق ، وفي هذا دليل على فضله وشرفه ، والتزامه بأوامر الله الذي حثه على صلة الأرحام وإن أساءوا إليه . مع العفو عما كان منهم من افتراء ، والصفح عما بدر منهم من إساءة .

وهذا أدب رفيع يدعو المؤمن للسمو وعلو النفس وفعل الخيرات ، وهو من خلق المصطفى ، الذي كان يعفو عمّن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، ليكون من المحسنين الذين كظموا غيظهم وعفوا عن المسيئين .

ثم تحضهم الآيات على ما هو حبيب إلى نفوسهم ، وهو عفو الله وصفحه عنهم الذي يرجونه ويريدون من الله أن يشملهم به ، فعليهم أن يفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم . وقد روي أنَّ أبا بكر لما سمع الآية قال : بلى أحب أن يغفر الله لي . وأعاد النفقة إلى مسطح . وكفر عن يمينه وقال والله لا أنزعها منه أبداً .

فضل أبي بكر :

وفي الآية دلالة على فضل أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – لأنَّ الله امتدحه بقوله : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ ﴾ وفي هذا دليل كاف على فضل الصديق – رضي الله عنه . وإذا عفا أبو بكر وداوم على إحسانه وأحب أن يغفر الله له ، فالله واسع المغفرة ، عظيم الرحمة ، مع قدرته التامة على العقاب .

إنَّ ذلك الغفران الواسع الذي ذكر الله به المؤمنين ، إنَّما يكون لمستحقيه ممن أصابه ضعف البشر ، فوقع في الخطيئة ، حتى رمى المحصنات ، وأشاع الفاحشة في المؤمنين . إذ التوبة لمن يعملون السوء بجهالة .

جزاء من يقذف المحصنات :

أمَّا الذين يرمون المحصنات التقيات القلوب بالفواحش ، عن خبث وإصرار ، كعبد الله بن أبي وأمثاله من المفسدين ، فلا عفو عنهم ولا سماحة معهم، فلا يحسبون إفلاتهم من عذاب الدنيا منجياً لهم من عذاب الآخرة ، حيث لا يحتاج الإثبات إلى شهود من البشر ، إذ تشهد على الإنسان جوارحه . قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا

شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [فصلت : ١٩-٢١] . فتنطق الألسن والأيدي والأرجل بما اقترف من قبيح الأعمال وسيئها . فعندئذٍ يجدون جزاءهم الوافي ، بحساب دقيق لا تستطيع الآلات الحاسبة أن تدرك مداه ودقته ، فيستغيثون يومئذٍ ، ويتضح لهم خطأهم ، وينتهي ريبهم وشكهم ، ويعلمون أنَّ الله هو العادل الذي لا يظلم أحداً ؛ الظاهر عدله في تشريعه وحكمته .

الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها إئتلف وما تناكر منها اختلف :

ويختم الله سبحانه الحديث عن حادث الإفك ، ببيان عدل الله في اختياره الذي ركزه في فطرة الناس ، وصار حقيقة يعيشها الناس في واقعهم ، وهو أن يلتئم الخبيث بمثله ، وتمتزج النفس الطيبة الطاهرة بالنفس الطاهرة الطيبة ، وعلى ذلك تقوم العلاقة بين الأزواج ، بناء على هذا لا يمكن أن تكون السيدة عائشة – رضي الله عنها – من الخبيثات ؛ وهي اختيار الله لأطيب نفس على ظهر البسيطة ، وهذا برهان قاطع ببراءة عائشة رضي الله عنها . فهي زوجه الطاهرة الطيبة المباركة . ومن سنته سوق الجنس إلى جنسه ، ولو لم تكن عائشة – رضي الله عنها – طيبة ، لما كانت زوجة لأطيب الناس وأطهرهم ، ولقد أحب رسول الله (ﷺ) عائشة – رضي الله عنها – حباً عظيماً ؛ فما كان يمكن أن يحببها الله لنبيه المعصوم ، إن لم تكن طاهرة تستحق هذا الحب العظيم ؛ فأولئك الفضلاء منزهون بفطرتهم ، لا يناسبهم شئ مما قيل من الكذب والبهتان ، وفيما نالهم وأصابهم من ذلك غفران لذنوبهم ، ورزق كريم في جنات النعيم ، وفي هذا وعد من الله بأن تكون عائشة – رضي الله عنها – في الجنة .

توجيه الآيات :

١. في الآيات آداب وتربية عالية للصفح عن المسيئين والإحسان إليهم .
٢. تصاب الأمم من داخلها فتتزعزع الثقة بين أفرادها ، وفي هذا إشارة إلى الاهتمام بتربية الجماعة المسلمة وتحصينها لتفويت الفرصة على المدنسين بينها .

٣. الإنفاق على ذوي القربى والمساكين وأصحاب الحاجات مما يكسب محبة الله تعالى وغفرانه ورحمته .
٤. غفران الله وتوبته لمن أخطأ فآب ورجع إلى الله ، أمَّا المصرون على الخبيث فلا عفو عنهم وسيلقون جزاءً وفاقاً في الآخرة .
٥. جرت سنة الله بأن تساق الأجناس لما يلائمها فالخبيث للخبيث والطيب للطيب ، ولما كانت عائشة طيبة نزيهة كانت زوجة لأفضل الخلق .

تدريب :

١. لماذا عزم أبو بكر على عدم الإنفاق على مسطح ؛ ثم عزم على عدم نزع الإنفاق منه أبداً ؟
٢. ماذا أصاب أبا بكر من حديث الإفك ؟
٣. كيف تم جمع النفوس بعضها مع بعض ؟
٤. ما الدرس الذي نتعلمه من قصة أبي بكر مع مسطح ؟
٥. أشرح (الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها إئتلف ...) بأسلوبك .

آداب الزيارة والاستئذان

الآيات (٢٧–٢٩)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩ ﴾

المعاني اللغوية :

بيوتاً	:	جمع بيت وهو محل السكن .
تستأنسوا	:	تستأذنوا ويعبر عن الاستئذان بالاستئناس وهو ضد الاستيحاش وهو لا يزول إلا بالإذن .
لعلكم تذكرون	:	تتعظون وتعملون بما تقتضيه الآداب الرشيدة .
أزكى لكم	:	أكرم وأطهر .
جناح	:	إثم وحرج .
غير مسكونة	:	أي غير معدودة للسكن .
متاع	:	منفعة .
تبدون	:	تظهرون .
تكتمون	:	تخفون وتسرون .

أسباب النزول :

جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله (ﷺ) فقالت : يا رسول الله ، إنِّي أكون في بيتي على حالٍ لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد . فيأتي الأب فيدخل عليّ ، وإنَّه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي ، وأنا على تلك الحال ، فكيف أصنع . فنزلت الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ

بُيُوتِكُمْ ...﴾ . فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله أفرأيت الحانات والمساكن في طريق الشام ليس فيها ساكن ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ... ﴾ .

البيان العام :

بعد بيان ما يتعلق بحادثة الإفك ، وما فيها من خيرات وآداب وتوجيهات وتشريعات ؛ يذكر الله في هذه الآيات ، ما يصون بيوت المسلمين ، التي لا يجوز المساس بحرمتها ؛ وذلك هو منهج الإسلام الذي يعتمد على الوقاية ، لا على العقوبة ، في إنشاء المجتمع النظيف . وهو بهذه التشريعات يضيق فرص الغواية ، ويبعد الفتنة ؛ فقد جعل الله البيوت سكناً تطمئن فيه نفوس الناس ويأمنون على حرماتهم ؛ فكانت هذه الآيات شاملة لآداب اجتماعية داعية لتنظيم المجتمع والأسر، حفظاً لعلاقات الود ، ودوام حسن العشرة ، والتزاور بينهم ، وفق مدلول متحضر ، وتمدن عال .

الآداب الشرعية في دخول البيوت :

وإذا حذر الله – سبحانه وتعالى – من قذف المحصنات ، وجعل عقوبته مشددة ، وكان الطريق المؤدي إليه هو مخالطة الرجال للنساء ، والدخول عليهن في أوقات الخلوات . أرشد – سبحانه وتعالى – إلى الآداب الشرعية في دخول البيوت ، فأمر بالاستئذان قبل الدخول ، ثم التسليم ، ولقد كان العرب في الجاهلية يهجمون ، فيدخل الزائر البيت ، ثم يقول : لقد دخلت ، وقد يجد صاحب البيت مع أهله في حال لا يجوز رؤيتهما فيها ؛ وقد تكون المرأة مع الرجل ، أو قد تكون عارية ، أو مكشوفة العورة ، وفي ذلك أذى وحرج ، وحرمان للبيوت من أمنها وسكنها .

من أجل ذلك أدب الله المسلمين ، بهذا الأدب الراقي الرفيع ؛ أدب الاستئذان في الدخول على البيوت والسلام على أهلها ، إيناساً لهم ، وإزالة للوحشة من النفوس قبل الدخول على أهل البيت ، لأن الاستئذان خير من الدخول بغتة ، ومن تحية أهل الجاهلية الذين كان إذا دخل أحدهم بيتاً غير بيته ، قال حييتم صباحاً ، وحييتم مساءً ثم يدخل ؛ وربما يجد الرجل وامرأته في لحاف واحد .

الاستئذان على المحارم :

وروي أنَّ رجلاً قال للنبي (ﷺ) ، أأستأذن على أمي ؟ قال : نعم ، قال ليس لها خادم غيري ؛ أأستاذن عليها كلما دخلت ؟ قال : أتحب أن تراها عريانة ؟ قال : لا . قال : فاستأذن عليها .

حرمة المنازل :

ولما كانت للبيوت حرمتها ، فإنَّه لا يجوز الدخول فيها ، وأن لم يكن فيها أحد ، لأنَّ الحرمة لا تقف عند عورات البدن فقط بل تتعداها إلى الطعام واللباس والأثاث وغيرها ؛ فجميع ذلك لا يجب لأهل البيت مفاجأتهم دون تهيئة وإعداد ؛ فعلى الزائر أن يصبر حتى يؤذن له ، وإلا فليرجع ، فإنَّ ذلك خير من الانتظار على الأبواب والإلحاح . وعليه أن يعلم أنَّ الله رقيب عليم بالخفايا والنوايا .

ولقد وعى المؤمنون الأولون هذه الآداب ؛ فقد روى سعد بن عبادة – رضي الله عنه – قال : زارنا رسول الله (ﷺ) في منزلنا فقال : " السلام عليكم ورحمة الله " فرد سعد رداً خفياً . قال قيس : فقلت : ألا تأذن لرسول الله (ﷺ) ؟ فقال : دعه يكثر علينا السلام . فقال رسول الله (ﷺ) " السلام عليكم ورحمة الله " فرد سعد رداً خفياً . ثم قال رسول الله (ﷺ) " السلام عليكم ورحمة الله " ، ثم رجع رسول الله (ﷺ) فاتبعه سعد فقال : يا رسول الله إنِّي كنت أسمع تسليمك وأرد عليك رداً خفياً لتكثر علينا من السلام ؛ قال : فانصرف معه رسول الله (ﷺ) وأمر له سعد بغسل فاغتسل ؛ ثم ناوله خميصة مصبوغة بزعفران ، فاشتمل بها ، ثم رفع رسول الله (صلﷺ) يديه وهو يقول " اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة " .

وأخرج أبو داؤد – بإسناده – عن عبد الله بن بشر قال : كان رسول الله (ﷺ) إذا أتي باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن ، أو الأيسر ، ويقول " السلام عليكم – السلام عليكم " ذلك أن الدور لم يكن يومئذٍ عليها ستور .ﷺ) أنَّه قال : " لو أن امرأ أطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح " .

إنَّ رسول الله (ﷺ) لم يجعل حق الخلوة محدوداً على الدخول في البيوت فحسب ، بل جعله حقاً عاماً لا يجوز لأحد بموجبه أن يطلع على دار غيره أو يدخل فيها بالنظر بل ولا أن يقرأ رسالته بدون إذن . فعن ابن عباس رضي الله

عنهما أنَّه قال : قال رسول الله (ﷺ) " من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنَّما ينظر في النار " . رواه أبو داود .

وقد جعل الفقهاء حكم السمع كحكم النظر . فإذا دخل رجل أعمى في دار قوم ، فهو وإن كان لا ينظر إلى شئ بعينه ، ولكنَّه يسمع أحاديث أهل الدار ، فهذا أيضاً تدخل غير مشروع في حق الخلوة كالنظر .

ولا يجوز دخول بيت ليس فيه صاحبه . كما أنَّ صاحب البيت إذا طلب من الزائر الرجوع فعليه أن يفعل ذلك ، دون أن يجد في نفسه غضاضة ، أو يشعر أنَّ أهل البيت أساءوا إليه أو نفروا منه ، فالرجوع أطهر وأزكى ، والله عليم بكل المقاصد والنوايا ومجازٍ عليها .

أمّا البيوت غير المسكونة بأشخاص معينين ، بل هي معدة ليتمتع بها من يحتاج إليها ، كائناً من كان ، كالحوانيت والمطاعم والحمامات العامة ونحوها مما فيه البيع والشراء وأماكن العلاج وغيرها فيجوز دخولها بدون استئذان ، لأنَّ السبب الذي لأجله منع دخول البيت وهو الاطلاع على عورات الناس والوقوف على أسرارهم ، غير موجود فيها .

ولا يجب الاستئذان إذا عرض في دار أمر مفاجئ شديد كالحريق أو هجوم السارق مثلاً .

توجيه الآيات :

١. في الآيات بيان لآداب دخول البيوت حفاظاً على حرمة أهلها حتى لا يقع أهلها في الحرج .
٢. تشتمل الآداب على عدة أشياء منها عدم الاطلاع على عورات الناس في أبدانهم وطعامهم وملبسهم ، وغير ذلك مما يخدش مشاعرهم .
٣. وسيلة الإسلام في الاستئذان السلام وطلب الدخول باللفظ أو ما شابهه .
٤. لا يحق للإنسان دخول بيت إلا إذا أذن له ، وإذا لم يؤذن له رجع ، وذلك خير وأبرك من الإلحاح والإصرار .
٥. يحق للإنسان الدخول بغير استئذان في حالات الضرورة كالحريق أو ما شاكله .
٦. رفعاً للحرج أبيح دخول البيوت غير المسكونة تحقيقاً لمنفعة الناس ومصلحتهم .

تدريب :

١. كيف كانت عادة أهل الجاهلية في دخول البيوت ؟
٢. كيف يدخل الرجل على أبنائه وبناته ؟
٣. قارن بين هذه الآداب ، والممارسات المعاصرة الآن في التقاليد والأعراف السودانية .
٤. متى يجوز الدخول بدون استئذان ؟

آية الحجاب

الآيات (٣٠-٣١)

﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ ﴾

المعاني اللغوية :

يغضوا : يخفضوا .
يحفظوا : يصونوا .
الخُمُر : واحدها خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها (طرحة) .
الجيوب : واحدها جيب ، وهو فتحة في أعلى القميص يدخل منها الرأس عند لبس الثوب .
زينتهن : موضع الزينة .
البعولة : الأزواج .
الإربة : الحاجة إلى النساء .
الطفل : يطلق على الواحد والجمع .
لم يظهروا : لم يعلموا عورات النساء لصغرهم .

أسباب النزول :

روي عن علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – أنّ رجلاً مرّ على عهد رسول الله (ﷺ) في طريق من طرقات المدينة . فنظر إلى امرأة ، ونظرت إليه . فوسوس لها الشيطان أنَّه لم ينظر أحدهما إلى الآخر إلا إعجاباً به ، فبينما الرجل يمشي إلى جنب حائط وهو ينظر إليها ، إذ استقبله الحائط فشقّ أنفه ، فقال : والله لا أغسل الدم حتى آتي رسول الله (ﷺ) فأخبره أمري ، فأتاه فقص عليه قصته . فقال النبي (ﷺ) " هذا عقوبة ذنبك " وأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ .

وعن جابر بن عبد الله حدّث أنَّ أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها . فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات ، فيبدو ما في أرجلهن – تعني الخلاخل – وتبدو صدورهن ، وذوائبهن ، فقالت أسماء : ما أقبح هذا ! فأنزل الله في ذلك ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ ... ﴾ .

البيان العام :

هذه الآية واضحة الصلة بسابقتها ؛ فالدخول في البيوت فيه مظنة الاطلاع على عورات الناس ، والنظر مظنة الاطلاع عليها أيضاً ؛ وفي الغض من الجانبين تقليل من فرص الإثارة والغواية والفتنة ؛ وإن كان الميل الفطري بين الرجل والمرأة عميق في تكوينهما ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى ربط به امتداد الحياة على هذه الأرض ، وتحقيق الخلافة لهذا الإنسان فيها .

والطريق المأمون هو تقليل المثيرات حتى يبقى الميل في حدوده الطبيعية المطلوبة ، ثم يلبي تلبية طبيعية حسب الأسس الشرعية .

أثر النظر على الشهوة :

الإسلام دين يتفق مع واقع الناس وطبائعهم وما فطروا عليه ، فلا يحارب الفطرة ، ولكنَّه يهذبها حتى لا تؤدي إلى نتيجة خاطئة إذا لم تضبط . ولهذا أمر الله رسوله (ﷺ) أن يدعو أتباعه بمقتضى الإيمان بغض أبصارهم عما حرم الله تعالى

النظر إليه من النساء الأجنبيات من غير المحارم ، فالبصر هو الباب الأكبر إلى القلب ، وأقصر طرق الحواس إليه ، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ، ووجب التحذير منه ، وغضه واجب عن جميع المحرمات وكل ما يخشى الفتنة من أجله ؛

وقد قال رسول الله (ﷺ) : **(لا تتبع النظرة النظرة فإنَّما لك الأولى وليست لك الثانية)** .

فالنظر سهم من سهام إبليس فهو بريد الزنا ورائد الفجور . فالنظرة تزرع الشهوة ، وقد تورث حزناً طويلاً . وصدق من قال :

كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار مـــن مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب فاعلها فعـــل السهـــام بلا قوس ولا وتـــر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الناس موقوف على الخطر
يسر خاطره ما ســـر ناظره لا مرحبـــاً بسرور عاد بـــالضرر

متى يجوز النظر إلى النساء ؟

وهذا الأمر بغض البصر ، قد استثنيت منه صور تعرض للإنسان فيها حاجة حقيقية إلى النظر إلى وجه المرأة . فإذا أراد الرجل أن ينكح امرأة فإنَّه يستحب له أن ينظر إلى وجهها . فعن المغيرة بن شعبة قال : خطبت امرأة فقال لي رسول الله (ﷺ) " نظرت إليها ؟ " فقلت : لا ، قال : " فانظر فإنَّه أحرى أن يؤدم بينكما " . رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي .

وقد ذكر الفقهاء صوراً أخرى يجوز فيها للرجل أن ينظر إلى وجه المرأة كالنظر إلى امرأة مشتبهة عند تحقيق الجرائم ، أو نظر القاضي إلى وجه المرأة عند الشهادة ، أو نظر الطبيب إلى وجه المرأة للمعالجة .

مقاصد غض البصر وحفظ الفرج :

ومن مقاصد الأمر بغض البصر ألا ينظر الإنسان إلى عورة غيره . قال (ﷺ) : " لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ". رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي .

وليس المراد من حفظ الفروج اجتناب الإنسان إرواء شهوته بالطرق المحرمة فحسب ، بل المراد به أيضاً عدم كشف عورته أمام غيره .

وفي غض البصر وحفظ الفرج طهارة للنفس وامتثال لأمر الدين والله هو الرقيب على الناس يعلم أفعالهم وأحوالهم وكيف يجيلون أبصارهم ، وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم .

وإذا كان غض البصر وحفظ الفرج مطلوبين من الذكور ، فهما مطلوبان أيضاً من الإناث ، فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من عورات الرجال والنساء ، وإذا نظرن إلى ما عدا ذلك بشهوة فحرام ، وبدونها لا يحرم ، وغض البصر عن الأجانب أولى بهن وأجمل ، وقد أمرن بحفظ فروجهن عما لا يحل لهن من الزنا والسحاق ، ويسترنها حتى لا يراها أحد ؛ كما نهين عن إظهار الزينة للأجانب إلا ما لا يملكن إخفاؤه مما جرت العادة بظهوره كالخاتم والكحل والخضاب ، وقد أرشد الله – سبحانه وتعالى – إلى إخفاء بعض مواضع الزينة مثل الشعر ، والعنق ، والصدر ، حتى لا يرى منها شئ . وقد كن يكشفن تلك المواضع في الجاهلية فنهين عن ذلك . قالت عائشة : رحم الله النساء المهاجرات الأول ، لما أنزل الله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها .

المحارم الذين يجوز إظهار الزينة أمامهم :

وقد أمرهن الله ألا يكشفن زينتهن إلا للأزواج ومن تؤمن الفتنة منه من المحارم المذكورين لاحتياج النساء لمخالطتهم ، وهم الآباء ، والأبناء ، وآباء الأزواج ، وأبناؤهم ، والإخوة ، وأبناء الإخوة ، وأبناء الأخوات ، ويلحق بهم الأعمام والأخوال والمحارم من الرضاع . كما استثنى الله نساء المؤمنات المختصات بهن بالصحبة والخدمة ، وملك اليمين من الجواري والعبيد ، والتابعين الذين لا حاجة لهم في النساء ولا يشتهونهن ، لسبب مانع كالبلاهة والجنون ، والجُب ، وصاحب العُنَّة والأطفال الذين لم يعرفوا ما العورة ولم يميزوا بينها وبين غيرها ، فإذا ميزوا وشعروا ، كانوا خارجين عن الاستثناء ولو كانوا دون البلوغ ، فهؤلاء المستثنون جميعاً ، لا حرج عليهم في الرؤية ؛ إلا ما كان تحت السرة وفوق الركبة ، فلا يجوز كشفه ، ولا مشاهدته إلا للزوج .

ثم نهى الله النساء المؤمنات عن ضرب أرجلهن بالأرض حتى لا يسمع صوت ما يلبسن من الحلي ، كالخلخال وما شابهه مما تلبسه النساء ومثله ما يلبس في العنق أو يشم من بعيد مما يثير الحواس ويهيج الأعصاب .

الحث والحض على التوبة :

في نهاية الآية يرد الله القلوب كلها إليه ، ويفتح باب التوبة للذين وقعوا في الخطأ ، فيطالبهم بالرجوع إليه ، بامتثال ما أمر ، والكف عما نهى حتى يفوزوا

بسعادة الدارين . فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه قال : سمعت النبي (ﷺ) يقول: " يأيُّها الناس توبوا إلى الله ، فإنِّي أتوب إليه كل يوم مائة مرة " .

ومن شروط التوبة : الإقلاع عن الذنب ، والندم على ما مضى ، والعزم على ألا يعود إليه ، ورد الحقوق إلى أهلها .

توجيه الآيات :

١. يدعو الله المؤمنين إلى البعد عن أسباب الإثارة وتهيج الشهوة وذلك بغض البصر وحفظ الفرج .
٢. أمر الله المؤمنات بالتستر وعدم التكشف – وعدم إظهار الزينة إلا ما لا يمكن إخفاؤه كما أمرهن بضرب الخمار على الجيوب .
٣. استثنى الله بعض الأشخاص ممن لا تثور شهواتهم وتؤمن فتنتهم .

تدريب :

١. لماذا شرع غض البصر لكل من الرجال والنساء معاً ؟
٢. ما الأحوال التي يباح فيها النظر إلى وجه المرأة ؟
٣. من الذين استثنوا من هذه الأحكام ؟ ولماذا ؟
٤. ما المقصود من حفظ الفروج ؟

علاج الأزمات الاجتماعية

الآيات (٣٢–٣٤)

﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٣ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتٖ مُّبَيِّنَـٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٣٤ ﴾

المعاني اللغوية :

الأيامى	:	مفردها أيّم ، وهو من لا زوج له من الرجال والنساء .
الصالحين	:	المتصفون بالصلاح والتقوى .
وليستعفف	:	أي فليجتهد في طلب العفة .
يبتغون الكتاب	:	يطلبون المكاتبة ليصيروا أحراراً .
فتياتكم	:	إماءكم .
البغاء	:	زنا المرأة خاصة .
تحصناً	:	تعففاً عن الزنا وابتعاداً عنه .
عرض الحياة الدنيا	:	حطام الدنيا الزائل .
آيات بينات	:	أحكام مفصلات .

أسباب النزول :

١. يقال إنَّ قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ نزلت في غلام حويطب ابن عبد العُزى يقال له صبح - وقيل صبيح - طلب من مولاه أن يكاتبه فأبى ؛ فأنزل الله هذه الآية ، فكاتبه حويطب على مائة دينار ، ووهب له منها عشرين ديناراً فأدّاها ، واستشهد يوم حنين .

٢. روى جابر بن عبد الله وابن عباس رضي الله عنهم ، أنَّ هذه الآية ﴿ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا ﴾ نزلت في عبد الله بن أبي وكانت له جاريتان ، إحداهما تسمى معاذة والأخرى مسيكة ؛ وكان يكرههما على الزنا ويضربهما ابتغاء الأجر ، وكسب الولد . فشكتا ذلك إلى النبي (ﷺ) فنزلت الآية فيه ، وفيمن فعل فعله من المنافقين .

البيان العام :

الزواج هو السبيل الوحيد لاستمرار الحياة الصحية :

عالجت الآيات السابقة ميل الرجل للمرأة ، وميل المرأة للرجل ، علاجاً نفسياً ووقائياً ، وفي هذه الآيات يعالج الله – سبحانه وتعالى – الموضوع بحل واقعي إيجابي ، وهو يتمثـــل في إشباع الغريزة الجنسية لتؤدي دورهـــا في إعمار الأرض ، واستمرار الحياة البشرية النظيفة الخالية من الأمراض ، والعقد النفسية . وذلك عن طريق الزواج ، تيسيراً له وإعانة عليه ، مع تصعيب السبل الأخرى للمعاشرة الجنسية ، وإغلاقها نهائياً ولذا يجب أن تزول العقبات من طريق الزواج، لتجري الحياة على طبيعتها ، وبساطتها . والعقبة المالية هي العقبة الأولى في طريق بناء البيوت ، وتحصين النفوس .

التعاون في تزويج الفقراء :

والإسلام نظام متكامل فهو لا يفرض العفة إلا وقد هيأ لها أسبابها ، وجعلها ميسورة للأفراد الأسوياء ، ولذلك أمر الله – سبحانه وتعالى – الجماعة المسلمة أن تزوج من لا زوج له من الأحرار والحرائر ، والصالحين من العبيد والإماء ؛ وذلك بتيسير أمر الزواج وإعانة الراغبين فيه حتى يتمكنوا من إحصان أنفسهم ، وقد

خص الله الصالحين من العبيد دون الأحرار ، لأنَّ الصالح من العبيد هو الذي يستحق أن يطلب من سيده وأن يجاب طلبه ؛ وينبغي ألا يكون الفقر عائقاً عن التزويج ؛ فإنَّ الغنى والفقر بيد الله ، وهو واسع العطاء ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسب إرادته ، وقد يكون الزواج سبباً في الغنى . قال رسول الله (ﷺ) : " ثلاثة حق على الله عونهم ، المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف " . أخرجه الترمذي .

دور العفة في ضبط الشهوات :

وإذا كان بعض الناس ، لا تتيسر لهم سبل الزواج للأسباب المادية ، فقد وجهوا إلى سلوك طريق العفة ، وضبط النفس ، وعدم الاسترسال في الشهوات والبعد عمّا يثير الغرائز الجنسية ، كالاختلاط بالنساء والجلوس إليهن . ويدخل في التعفف تقوية الناحية الروحية بالصلاة والذكر ، وقراءة القرآن ، ومجالسة أهل العلم والصالحين ؛ وكذلك يكون التعفف بإضعاف الناحية البدنية من شغل الجسم بالأشغال الشاقة والرياضة والصوم ، ولقد جمع ذلك قول رسول الله ((ﷺ) " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء " .

دعوة الإسلام إلى تحرير الرقيق :

ولمَّا أمر الله سبحانه وتعالى السادة بتزويج الصالحين من العبيد والإماء ، رغب في أن يكاتبوهم ، إذا طلبوا ذلك ، ليكونوا أحراراً فيتصرفوا في أنفسهم ، وقد حرص الإسلام على تحريرهم ، لأنَّ الحرية هي الأصل فيهم . أمّا الرق فهو ضرورة أوجدتها الظروف لمقابلة أعداء الإسلام بمثل ما يعاملون به أسرى المسلمين ؛ ولذلك عمل الإسلام على التخلص من الأرقاء كلما واتت الفرصة ، حتى تتهيأ الأحوال العالمية لإلغاء نظام الرق كله . ولذا أوجب إجابة المسترق إلى طلب المكاتبة على حريته إذا عُلم فيه خير ، كالأمانة وحسن التصرف ؛ وذلك في مقابل مال يؤديه فينال حريته . ولحرص الشارع على الحرية وتحرير الرقاب ، أمر أن يعطى المكاتب مالاً يستعين به على أداء ما عليه من أقساط ، وجعل له حقاً في الصدقات . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة: ٦٠] .

كان العرب قبل الإسلام يجمعون المال بسبيل الحرام ، عن طريق إكراه الإماء على البغاء ، وهي عادة أهل الجاهلية ، فإذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني ، وجعل عليها ضريبة يأخذها منها ؛ وقد نهى الإسلام عن تلك العادة ، بأسلوب شديد ، وعبارة قاسية ، تتناسب مع شناعة الفعل وخسته ، ودناءته . ولقد نهاهم عن الإكراه ؛ والإكراه أشنع من الإباحة وأفظع ؛ ويبلغ الإكراه القمة في شناعته في حال كون الفتاة تريد تحصناً وعفَّة ؛ وقد وعد الله المكرهات بالمغفرة والرحمة بعد الإكراه الذي لا يد لهنَّ فيه ؛ وسينتقم الله من الذين أكرهوهن على الزنا .

وبعد أن فصل الله الأحكام وبيّنها ، امتن على عباده بأنَّه – سبحانه وتعالى– أنزل آيات واضحات مفسرات لكل ما يحتاج الناس إليه ، من عبادات ومعاملات وآداب ، وأخباراً عظيمة عن الأمم الماضية ؛ وما حل بهم بسبب ظلمهم وتعديهم حدود الله ؛ وفي هذا كله موعظة للمتقين الذين تستشعر قلوبهم رقابة الله ؛ فتخشى وتستقيم .

توجيه الآيات :

١. دعا الله المؤمنين خاصة وأولياء الأمور للاهتمام بتزويج الأحرار والأرقاء إشباعاً للغريزة ، وصوناً للمجتمع ، وتحقيقاً لعمارة الأرض .
٢. طلب الله من الذين لا يجدون قدرة على الزواج أن يتصفوا بالعفة ويتقوا الله.
٣. دعت الآيات إلى تحرير الأرقاء بالمكاتبة ، وإعانتهم على الفكاك والخلاص من العبودية .
٤. نهى الله عن إكراه الرقيق على البغاء كما كان يمارسه بعض العرب .

تدريب :

١. ما الوسائل التي أوجدها الإسلام للحفاظ على العفة ؟
٢. أذكر وسائل تحرير الرقيق في الإسلام .
٣. بماذا امتن الله على عباده في ختام الآيات ؟
٤. ما الوسيلة التي اتخذها المجتمع السوداني لتيسير أمر الزواج ؟

الله نور السماوات والأرض

الآيات (٣٥ – ٣٨)

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٣٥ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨ ﴾

المعاني اللغوية :

النور	:	النور في اللغة الأضواء المدركة بالبصر ، وقد عرف في لسان الشرع على أنَّه ما به الاهتداء والإدراك .
المشكاة	:	الكوة غير النافذة ، وهي أجمع للضوء الذي يكون فيها .
مصباح	:	القنديل من الزجاج وهو المصباح الضخم الثاقب مأخوذ من الصبح .
الزجاجة	:	جسم من القنديل شفاف صاف لا يحجب ما وراءه .
الكوكب	:	هو الجرم السماوي المضئ .
دُرِّيٌّ	:	المضئ المتلألئ نسبة إلى الدر في صفائه وإشراقه وحسنه .

لا شرقية ولا غربية : أي ظاهرة للشمس لا يظلها جبل ولا شجر .
البيوت : المراد بها المساجد كلها .
أذن : أمر وقضي .
يسبح : ينزهه ويقدسه عما لا يليق به .

البيان العام :

أوضح الله سبحانه وتعالى أنَّه أنزل في هذه السورة آيات بينات ، وقد شرع في الآيات السابقة ما يحتاج إليه الناس ، في إصلاح أحوالهم في معاشهم ومعادهم، من الشرائع والأحكام ، والآداب والأخلاق ؛ وهو هادي أهل السماوات والأرض بما نصب من الأدلة في الكون ، وبما أنزل على رسله من الآيات البينات ، التي يهتدون بها إلى الحق ، وينجون بها من حيرة الضلال . فالله – سبحانه وتعالى – هو صاحب النور في السماوات والأرض ، وهو خالق ذلك النور الحسي الظاهر فيهما من كمال النظام وحسن التدبير ، ولو تفكر فيهما إنسان بعقل جريء لآمن بالله إيماناً كاملاً .

معنى الله نور :

والله – سبحانه وتعالى – نَوَّر السماوات بالملائكة والكواكب ، والأرض بالأنبياء والشرائع ، جلّ شأنه ، وتبارك اسمه ؛ وتقدس علاه ؛ فهو نور السماوات والأرض حقاً . وورد في دعاء الرسول (ﷺ) أنَّه قال يوم أذاه أهل الطائف : **(أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل بي غضبك ، أو ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك)** .

وكلمة النور تستعمل للعلم أيضاً ؛ كما يعبر عن الجهل بالظلمة ، فالله – سبحانه وتعالى – نوَّر الكون بمعنى أنَّه لا يمكن أن تُعرف الأشياء معرفة مباشرة في هذا الكون إلا به .

تشبيه حسي لنور الله تعالى :

ومثّل الله لنوره الحق في قوته ، وشدة تأثيره ووضوحه في قلب المؤمن بمشكاة فيها مصباح قوي الإضاءة ، والمشكاة هي الكوة الصغيرة في الجدار يوضع فيها المصباح فتُجمع نوره . وهذا المصباح في زجاجة شفافة صافية تقيه الريح ، فتصفي نوره فيتألق ويزداد ؛ فتصير الزجاجة في حسنها وصفائها وتلألؤها كأنها

كوكب من الدر . وهذا المصباح يوقد بزيت شجرة مباركة كثيرة المنافع ، وهي شجرة في مستوى من الأرض في مكان فسيح ، باد ظاهر للشمس ، تقرعه من أول النهار إلى آخره ، وكل شجرة من الزيتون يكون هذا شأنها ، فإن زيتها أصفى والطف ، ويكاد يكون هذا الزيت من شدة جودته وصفائه وحسنه أن يضئ ولو لم تمسسه نار ، فهو نور مترادف متضاعف ، وقد تناصرت فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت ؛ حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده إشراقاً ويمده بإضاءة نقية ، إنَّه نور الله الذي أشرقت به السماوات والأرض .

والله – سبحانه وتعالى – يهدي لنوره من يشاء ، وذلك بإلهام المؤمن طريق الرشاد والحق ، فيتبعه المؤمن بالعمل والجد ، وكذلك بالنظر والتدبر ، وتوجيه الفكر لسلوك طريق الجادة الموصلة إليه .

الغاية من تشبيه نور الله :

والمثل الذي ضربه الله لنوره وسيلة لتقريبه إلى المدارك ، والله أعلم أي الأمثال أنفع للناس لإفهامهم حقيقة الخالق ، وهو كذلك يعلم من يستحق الهداية ممن لا يستحقها ، ممن صفت نفوسهم واستعدوا لتلقي أحكام الدين ، وآدابه .

إنَّ نور الله الذي أشرقت به الظلمات في السماوات والأرض ، واستقر في قلب المؤمن بالهدى والعلم محله المساجد ، وهي أحب بقاع الأرض لله تعالى . فهي بيوته التي يعبد فيها ويوحد ، وقد أمر الله بتعهدها وتطهيرها من الدنس واللغو ، والأفعال التي لا تليق بها ، وأمر بذكره وإخلاص العبادة له فيها .

المراد من كلمة بيوت :

وقد اختلف العلماء فيما هو المراد بهذه البيوت في هذه الآية : فقال بعضهم إنَّ المراد بها المساجد ؛ أمر الله ببنائها وعمارتها ، ورفعها وتطهيرها . وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد ، وتوقيرها ، واحترامها وتطييبها وتعطيرها بالبخور . فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول " من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله ، بنى الله له مثله في الجنة " رواه الشيخان .

وعن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – قالت : " أمرنا رسول الله (ﷺ) ببناء المساجد في الدور وأنْ تنظف وتطيب " رواه أحمد وأهل السنن إلا النسائي .

وذهب بعض أهل العلم ، أنَّ المراد بها بيوت المؤمنين ، حيث يذكرون ويتدارسون . والمراد برفعها ، رفعها من الوجهة المعنوية والأخلاقية . ويمكن أن يقال أن المراد بالبيوت في الآية المساجد وبيوت المؤمنين .

من صفات الرجال المؤمنين حقاً :

وفي هذه البيوت التي قضى الله برفعها ، ينزه الله ويقدسه فيها رجال بالصلاة والعبادة في كل أوقات الصلاة ؛ وقد خص الله صلاة الفجر والعصر بالذكر لحضور الملائكة في هذين الوقتين . ووصف الله هؤلاء الرجال بأنَّهم رجال متوازنون ، لا تشغلهم الدنيا وزخرفها ، ولا بيوعهم وتجارتهم في حضر أو سفر عن ذكر ربهم وخالقهم ، فهم يؤدون الصلاة في مواقيتها . ويؤتون حق العبادة في الزكاة على الوجه الذي رسمه الدين . ونحو هذه الآية قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٩] .

وسبب شغل هؤلاء الرجال أنفسهم بالعبادة أنهم يخافون يوماً تتقلب فيه قلوبهم وأبصارهم ، فلا تثبت على شئ من شدة الفزع والهول والكرب والاضطراب .

ثمّ بيّن الله مآل الصادقين الذين يتقنون أعمالهم ، ولا تشغلهم الدنيا عن الآخرة ، فيقومون بأداء واجباتهم مرضاةً لله ، فيفعلون القربات من التسبيح والذكر وإيتاء الزكاة ، مع الخوف من عذاب يوم القيامة . يثيبهم الله على حسناتهم التي فعلوها ، فرضها ونفلها ؛ وسيزيدهم من فضله الذي لا حدود له ولا قيود ، فهو صاحب القدرة الكاملة والجود العظيم والإحسان الواسع .

توجيه الآيات :

١. شبه الله قوة نور الحق وسط ظلمات الضلال بقوة نور الإيمان الذي يحل في القلب فيدفع ظلمات الكفر .
٢. النور الذي يستقر في قلب المؤمن بالهدى والعلم مكانه المساجد التي هي أحب الأماكن لله ، ولذا يجب الاهتمام ببنائها وحمايتها وتطهيرها .
٣. خص الله – سبحانه وتعالى – صلاتي الفجر والعصر بالذكر لحضور الملائكة في هذين الوقتين .

تدريب :

١. بم تتم هداية أهل السماوات والأرض ؟
٢. لماذا شبه الله قوة نور الحق بنور المصباح الذي جاء وصفه بالآية ؟
٣. ما المراد بالبيوت في هذه الآية ؟
٤. لماذا وصف الله المسبحين بأنَّهم رجال ؟
٥. أشرح كلمة (الله نور السموات والأرض) .

لا قيمة للأعمال بلا إيمان

الآيات (٣٩ –٤٠)

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

المعاني اللغوية :

السراب : الشعاع المنعكس الذي يُرى وسط النهار عند اشتداد الحر في الفلوات الواسعة فيحسبه الرائي من بعد كأنه بركة ماء .

القيعة : القاع / ما انبسط من الأرض واتسع ولم يكن فيه نبت .

بحر لجي : اللج معظم الماء . والمراد به بحر عميق الماء كثيره .

يغشاه : يغطيه .

سبب النزول :

قيل إنَّ هذه الآية نزلت في شيبة بن أبي ربيعة ، وكان يترهب متلمساً الدين ، فلما خرج رسول الله (ﷺ) كفر به .

البيان العام :

لما ضرب الله مثلاً لحال المؤمن ، وأنَّه في الدنيا يكون في نور الله ، وبه يستمسك بالعمل الصالح ، وفي الآخرة يفوز بالنعيم المقيم ، والثواب العظيم ، ضرب الله أمثالاً لحالة الكفار للتوضيح والبيان .

لا قيمة للعمل الصالح بدون إيمان :

مثل الله سبحانه وتعالى للكفار الذين يدعون إلى كفرهم ويحضون عليه ؛ فإنَّ كل ما كانوا يقومون به من أعمال الخير كصلة الرحم ، وإغاثة الملهوفين ،

وقِرى الضيف ونحو ذلك من الأعمال والاعتقادات التي يرجون عليها النفع في الحياة الآخرة ، ليست في حقيقتها إلا كسراب في الصحراء يراه من اشتد به العطش ، فيحسبه ماءً فيطلبه ، ويظن أنَّه حصل على ما يبتغي ؛ حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

وهكذا حال الكافرين يحسبون أنَّ أعمالهم منجية لهم من بأس الله ، حتى إذا جاءهم العذاب يوم القيامة لم تنفعهم ، أو تمنعهم من عقاب الله ، فلا ينتفعون بأعمالهم الصالحة هذه إلا كما ينتفع بالسراب من اشتدّ ظمؤه ، فلا يجدون عملاً من أعمالهم ينقذهم من بطش الله وعذابه ، بل سيجدون عقاب الله الذي توعد به الكافرين ، والله سريع الحساب ، لا يشغله حساب عن حساب ، وعندئذٍ يتغير ما كان يظنه من النفع العظيم إلى ضرر محقق . قال الله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] . وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلاً ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف :١٠٣-١٠٤]. وهم الذين عناهم الله بقوله : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ١٦٧] .

وجه المشابهة بين ظلمات الكفر وظلمات البحر العميق :

وضرب الله المثل الأول في أعمال الكفار ، مبيناً حالهم في الآخرة ، وضرب المثل الثاني في كفرهم ؛ والكفر أيضاً من أعمالهم مبيناً حالهم في الدنيا ، فمثل لأعمالهم التي عملت على غير هدى من الله ، بظلمات مترادفة ، في بحر عميق ماؤه ، بعيد غوره ، يغطيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، حتى إذا أخرج يده وهي أقرب ما يرى لديه لم يكد يراها من شدة الظلمات .

وقد فسر العلماء أنَّ المراد بهذه الظلمات أعمال الكافر البعيدة عن الهداية ، الخالية من نور الحق ، ولذا فهي باطلة . وبالبحر اللجي ، قلبه ، وبالموج الذي فوقه موج ، ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة ، وبالسحاب الريب والختم

والطبع على قلبه ؛ فهو لا يبصر بقلبه نور الإيمان ؛ والكافر يتقلب في خمس ظلمات ، كلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومعبره يوم القيامة إلى الظلمات ، وبئس المصير وهو قمة الظلمات .

الكفر ظلمة :

إنَّ الكفر ظلمة منقطعة عن نور الله الفائض في الكون . وضلال لا يرى القلب فيه أقرب علامات الهدى ، ومخافة لا أمن فيها ولا قرار ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ . ونور الله هدى في القلب وتفتح في البصيرة ، واتصال في الفطرة بنواميس الله في السماوات والأرض ، فمن لم يتصل بهذا النور فهو في ظلمة لا انكشاف لها ، وفي مخافة لا أمن فيها ، وفي ضلال لا رجعة منه، ونهاية العمل سراب ضائع يقود إلى الهلاك والعذاب ، لأنَّه لا عمل بغير عقيدة ، ولا صلاح بغير إيمان ، إنَّ هدى الله هو الهدى ، وإنَّ نور الله هو النور ، ولا يكون النور إلا منه سبحانه وتعالى .

توجيه الآيات :

١. يعيش الكافر في الدنيا في أشد الظلمات ؛ وفي الآخرة في أشد الحسرات .
٢. لا قيمة للعمل الصالح بغير إيمان واتباع وإخلاص ؛ ولا فائدة من إيمان بغير عمل صالح .
٣. إنَّ العودة للإسلام والعمل بهداه ، والتمسّك بشرائعه هو الطريق الوحيد لحياة صحيحة في الدنيا ، ومآل حسن في الآخرة .

تدريب :

١. ضرب الله مثلاً لمصير عمل الكافر في الآخرة بقوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ...) :

(أ) لماذا شُبه عمل الكافر بسرابٍ بقيعةٍ ؟

(ب) ما وجه المقارنة بين الظمآن الذي يصل مكان السراب والكافر الذي يقف بين يدي الله يوم القيامة ؟

(ج) ما معنى قوله تعالى "فوفاه حسابه والله سريع الحساب" ؟

٢. ما المثل الذي ضربه الله للكافر وعمله ؟

من دلائل قدرة الله

الآيات (٤١–٤٦)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾

المعاني اللغوية :

ألم تر : استفهام تقريري ، والمعنى قد علمت علماً يقيناً بالوحي وبالمكاشفة والاستدلال .

يسبح : ينزهه ويقدسه .

صافات : باسطات أجنحتها في الهواء .

المصير : المرجع .

يزجي : يسوقه برفق وسهولة إلى حيث يريد .

يؤلف : يجمع بين أجزائه وقطعه .

ركاماً : متراكماً بعضه فوق بعض " مجتمعاً " .

الودق : المطر .

سنا : ضوء .

البيان العام :

لما وصف الله سبحانه وتعالى قلوب المؤمنين بالنور ، وقلوب الكافرين بالظلمة ، أخذ يذكر دلائل التوحيد .

لفت الأنظار إلى التأمل في الكون :

ففي البداية تلفت الآيات نظر الإنسان إلى التأمل في الكون ، والنظر في مخلوقات الله ، ليعلم أنَّه لم يخلق وحده في هذا الكون الفسيح ، إنَّما توجد معه مخلوقات أخرى مختلفة في أشكالها وصورها ؛ وطبائعها وألوانها ؛ لكنَّها تلتقي في أنَّها خلق الله ، فهي تسبح بحمده ، وتتوجه إليه وحده بالعبادة ؛ والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يغفل عن تسبيح الله ربه وخالقه ، مع أنَّه أجدر المخلوقات بذلك ، وعندما يؤمن الإنسان بالله ، ويسبح بحمده ، فإنه ينسجم مع هذا المشهد الكوني المتجه إلى الله ، وعندما يكفر ، يشذ عن أجزاء الكون المتناغمة ؛ فينحدر إلى أسفل ويسقط فيفقد الاحترام والتقدير .

وفي هذه الآيات خاطب القرآن الكريم الرسول (ﷺ) ؛ وخطاب الرسول (ﷺ) خطاب إلى كل مكلف تبلغه الرسالة المحمدية ذاكراً أربعة مشاهد :

المشهد الأول :

يلفت الله سبحانه وتعالى إلى ما علمه بالوحي والمكاشفة؛ أنّ الله ينزهه ويقدسه ويوحده في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله ، جميع من في السماوات والأرض ، من الملائكة والإنس والجن والحيوان والجماد ، تنزيهاً يفهمه أرباب العقول السليمة . فالطير في حالة طيرانها تسبِّح ربها وتعبده تسبيحاً ألهمها وأرشدها إليه ، وهو يعلم ما هي فاعلة ؛ فهو قد أرشد كل مخلوق إلى طريقته ومسلكه في عبادته ؛ إذ كل المخلوقات في وجودها وبقائها دالة على وجود خالق متصف بصفات الجلال والكمال ، منزه عن كل نقص ، فهي تنزهه وتقدسه ؛ فقد كان النبي (ﷺ) يسمع تسبيح الحصى تحت قدميه وكان داود عليه السلام يرتل مزاميره فتؤوب الجبال معه والطير . وفي هذا دليل على أنَّ لله ملك السماوات وما فيها ؛ فهو الحاكم المتصرف والإله المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له ، ولا معقب لحكمه ، وإليه المصير يوم يرجـــع إليه الخلائق أجمعون . قال الله تعالى : (يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) [المطففين : ٦] .

المشهد الثاني :

يعرض الله ما يدل على مظاهر وحدانيته وقدرته ، التي يسوق بها السحاب، وتدفعه من مكان إلى آخر ؛ ثم يجمع ما تراكم من أجزائه ، بعضه فوق بعض ، فينزل المطر .

والسحب في تراكمها فوق بعضها أشبه بالجبال الضخمة الكثيفة فيها قطع البرد الثلجية الصغيرة ؛ ومشهد السحب كالجبال حقيقة لم يتوصل إليها الناس إلا بعد أن ركبوا الطائرات ، فشاهدوا الطائرة تسير بينها أو تعلوها ، فهي كالجبال حقاً بضخامتها ومساقطها وارتفاعها وانخفاضها ، وهذه الجبال مسخرة بأمر الله ، وفق ناموسه الذي يحكم الكون ، ووفق هذا الناموس يصيب به من يشاء ، ويصرفه عمن يشاء فيؤخر عنهم الغيث ؛ ومن هذا السحاب المتراكم يخرج ضوء البرق الذي يكاد من شدته أن يذهب بالأبصار ، وهذا من أقوى الدلائل على كمال قدرة الله ، إذ فيه يتولد الضد من الضد ؛ ففيه توليد النار من الماء .

المشهد الثالث :

يعرض القرآن الكريم ، تقلب الليل والنهار ، بزيادة أحدهما ونقص الآخر ، وإلى تغير أحوالهما بالحرارة والبرودة ، وفي مظهر شروق الشمس وغروبها ، والضحى والظهيرة ، وتنفس الصباح ، وتشابك النجوم ، وتألق البدر ، إنّ كل ذلك عبرةً لأولي الأبصار الذين يتأملون في مظاهر هذا الكون ؛ فيتجدد إحساسهم مع التأمل والتفكر في بديع صنع الله .

والقرآن يوجه القلب إلى هذه المشاهد التي ذهبت الإلفة بواقعها المثير . فأخفت ما فيها من عجائب الخلق ، ودلالات القدرة . قال الله تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ) [آل عمران : ١٩٠] .

المشهد الرابع :

تعرض علينا الآيات ما يدل على قدرة الله ، ووحدانيته وإحاطته بالكون ، بعد أن استدل بأحوال السماء والأرض وبالآثار العلوية ؛ يستدل بالآية الكبرى ؛ وهي آية خلق الحياة من أصل واحد ؛ فالله خلق كل حيوان يدب على الأرض من ماء ؛ رغم أنَّها تختلف في أشكالها وطبائعها وحركاتها ؛ فمنها من يمشي على بطنه

كالزواحف، ومنها من يمشي على رجلين كالطيور ، ومنها من يمشي على أربع كالأنعام والوحوش ، وأشار الله إلى غيرها ممن يمشي على أكثر من ذلك كالعناكب وغيرها بقوله : (يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ) فهو غير مقيد بشكل ولا هيئة ؛ فهو الخالق المبدع ؛ وهو الذي قدر فهدى والذي خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى .

لقد أبدع الله آيات الخلق ، وأحكم صنع الكون ؛ وأنزل آيات مبينة كاشفة ، تجلو نور الله ، وتكشف عن ينابيع هداه ، وتحدد الخير والشر ، والطيب والخبيث ؛ وتبين منهج الإسلام في الحياة كاملاً دقيقاً لا لبس فيه ولا غموض ، وتحدد أحكام الله في الأرض بلا شبهة ولا إبهام ، فإذا تحاكم الناس إليها فإنَّما يتحاكمون إلى شريعة واضحة منضبطة لا يخشى منها صاحب حق على حقه ، ولا يلتبس فيها حق بباطل ، ولا حلال بحرام .

فهذه الآيات المبثوثة في الكون دالة على قدرة الله ومشيئته المطلقة التي لا يقيدها قيد ، ولا تحدها حدود ، فهو يرشد من يشاء إلى الطريق الذي لا عوج فيه ؛ وهو توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده ، هذا وقد جعل الله للهدى طريقاً ، من وجه نفسه إليه ، وجدَّ فيه ، هُدِى إلى نور الله فاتصل به ، وسار على هداه حتى يصل لمشيئة الله ، ومن حاد عنه وأعرض ، فقد النور الهادي ، وسار في طريق الضلال حسب مشيئة الله في الهدى والضلال .

توجيه الآيات :

١. النظر والتأمل في الكون يقودان صاحب العقل إلى معرفة الله والاهتداء إليه ، ويفيد المؤمن بزيادة إيمانه وثبات يقينه ، ويعتبر التفكر في مخلوقات الله ونعمه من أفضل أنواع العبادة .
٢. يكون التفكر في مخلوقات الله ونعمه بالمشاهدة في الأرض أو في الأنفس أو في الآفاق ، ولا يكون التفكر في ذات الله .
٣. كل المخلوقات تنزه الله وتقدسه بالطريقة التي علّمها لها خالقها ، إلا أنَّ بعض الناس يشذ عن هذا التناغم الكوني .
٤. تعود جميع المخلوقات الحية على ظهر الأرض إلى أصل واحد .

تدريب :

١. قال الله تعالى : (أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ...) .

أ. بماذا تكون الرؤية في هذه الآيات ؟

ب. ماذا عرض في هذا المشهد المكمل للآية السابقة ؟

٢. أذكر المشاهد الواردة في هذه الآية ، والتي تدل على وحدانية الله وقدرته .

٣. ما معنى قوله تعالى : (وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) ؟

وما الطريق المستقيم ؟

صفات المنافق الكاذب وصفات المؤمن الصادق

الآيات (٤٧–٥٤)

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾

المعاني اللغوية :

يتولى : يعرض عن قبول الحكم الشرعي .
مذعنين : طائعين منقادين وخاضعين .
مرض : المراد نفاق .
ارتابوا : شكوا ، أي شكوا في نبوتك .
يحيف : يجور ويظلم .

سبب النزول :

روي أنَّ سبب نزول هذه الآية ، أنَّ رجلاً من المنافقين اسمه بشر ، وكان بينه وبين يهودي خصومة ، فدعاه المنافق إلى التحاكم إلى كعب بن الأشرف فراراً من الحكم الحق الذي سيحكم به رسول الله (ﷺ) ؛ ثم انتهى الأمر وتحاكما إلى رسول الله فحكم لليهودي لأنَّه صاحب الحق ، ورسول الله (ﷺ) لا يحكم إلا به ؛ ولو على أقرب الناس إليه ؛ فرضي اليهودي بذلك ولم يرضَ المنافق ؛ وتحاكما إلى عمر بن الخطاب طمعاً فيه . فقال له اليهودي : قد تحاكمنا إلى رسول الله . فقال عمر : أهذا حصل ؟ قال المنافق : نعم . فضربه عمر حيث لم يرض المنافق بحكم رسول الله . فنزلت الآية : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

البيان العام :

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى الأدلة الواضحة على توحيده وكمال قدرته ، وأتم بيانها ؛ ذكر أنَّه يهدي بها من يشاء من عباده إلى صراط مستقيم ، ثم أعقبه بذكر من لم يهتد بها وهم المنافقون .

صفات المنافقين :

ويخبر الله – سبحانه وتعالى – عن صفات المنافقين بأنَّهم يظهرون خلاف ما يبطنون ، ويقولون بأفواههم : آمنا بالله وبالرسول من غير يقين وإخلاص ، فهم يعرضون عن طاعة الله ورسوله ، وهذا أصدق دليل على أنَّهم ليسوا بالمؤمنين المخلصين الصادقين الثابتين على الإيمان ، لأنَّ الإيمان المستقر في القلب المتمكن من الوجدان تظهر آثاره في السلوك قولاً وعملاً ، فهؤلاء المنافقون تخالف أقوالهم معتقداتهم فهم يقولون بأفواههم ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾ ثم يعرضون عما تقتضيه الطاعة ، وينحازون إلى غير المؤمنين .

والدليل على كذبهم في دعواهم الإيمان ، أنَّهم إذا دعوا إلى كتاب الله وإلى رسول الله ليحكم بينهم فيما اختصموا فيه بحكم الله ، أعرضوا عن قبول الحق ، واستكبروا عن اتباع حكمه ، لأنَّه لا يحكم إلا بالحق . وهم الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ

وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء : ٦٠-٦١] .

لا فرق بين حكم الله تعالى وحكم رسوله :

وبهذا نعلم أنَّ حكم الرسول (ﷺ) هو حكم الله – سبحانه وتعالى – والدعوة إلى الرسول هي الدعوة إلى الله ، والتحاكم إلى الله يكون إلى كتابه ، والدعوة إلى التحاكم إلى الرسول تكون إلى شخصه في حياته ، وإلى سنته بعد موته ، كما أنَّ هذا التحاكم يكون إلى كل من يجلس في منصة القضاء في الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول (ﷺ) ويحكم بين الناس بالكتاب والسنة ، فالدعوة إلى التحاكم إليه هي عين الدعوة إلى التحاكم إلى الله وسنة رسوله. فعن الحسن البصري عن سمرة قال : قال رسول الله (ﷺ) : (من دُعي إلى حاكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم لا حق له) أخرجه الطبراني .

أما إذا كان حكم الله ورسوله سيكون لهم لا عليهم ، فإنَّهم يسرعون إلى تحكيم رسول الله ، مطيعين خاضعين راضين لأنَّهم واثقون إنه سيقضي لهم بحقهم. والذي يدل عليه سياق الآية ، إنَّ الذي يرضى بحكم الشريعة إذا كان موافقاً لما يريده ، ويرفضه إذا كان مخالفاً لهواه ، وآثر على حكم الشريعة القوانين الأخرى الرائجة في العالم ، فليس بمؤمن بل هو منافق كاذب في دعواه للإيمان ، لأنَّه لا يؤمن بالله وبالرسول ، وإنَّما يؤمن بهواه .

والسبب في هذا السلوك الذي يتصف به المنافقون هو أحد أمور ثلاثة هي :

أولاً : أن يكون في قلوبهم مرضٌ لازم بالكفر والنفاق ، فهم لم يؤمنوا أصلاً ، وإنَّما أظهروا إسلامهم مخادعة للمسلمين وسعياً وراء منافعهم التي يجنونها من المجتمع المسلم .

ثانياً : أنَّهم ارتابوا وشكوا في نبوءته ، عليه الصلاة والسلام . (في كون الرسول رسولاً من عند الله ، وكون القرآن قد نزل من عند الله ، وكون هناك حياة أخرى بعد الموت) .

ثالثاً : أنْ يكونوا في خوفٍ من أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم .

فكل من كان على أحد هذه الخصال الثلاث ، فلا شك في كونه ظالماً ، لأنَّه خالف أمر ربه ، وعصاه في أمره له بالرضا بحكم رسوله فيما أحب وكره ، لأنَّ حكم الله هو الحكم الوحيد المبرأ من مظنـــة الجور ، فالله هو العادل في حكمه ، وكل خلقه أمامه سواء ، فلا يظلم أحداً منهم لمصلحة أحد .

وكل حكم غير حكم الله ورسوله هو مظنة للجور والظلم ؛ فالبشر عندما يحكمون يميلون إلى مصالحهم ، أفراداً أو طبقة ، أو قبيلة أو دولة ، والفرد عندما يشرع ويحكم يراعي في تشريعه حماية نفسه ومصالحه ، وكذلك الطبقات والدول ، والكتل من الدولة لكتلة أخرى ، وأمَّا تشريع الله فهو ليس لحماية أحد دون أحد ، فهو عدالة مطلقة . لا تتوافر في تشريع غير تشريعه ، ولا تتحقق في حكم غير حكمه .

صفات المؤمنين :

ثم ينتقل سياق الآيات ليخبر عن صفة المؤمنين الصادقين الذين عندما يدعون إلى التحاكم إلى كتاب الله ورسوله فإنَّهم يسمعون كلامه ويطيعون أمره . وأولئك هم الفائزون بكل مطلوب ، الناجون من كل خوف بسبب خشيتهم لله فيما مضى من ذنوبهم واتقائهم له فيما يستقبل .

وبعد هذه المقابلة بين سلوك المؤمنين حقاً ، وسلوك المنافقين الذين يدعون الإسلام ، يعود الحق – عزّ وجل – يذكر صفـــات المنافقين في حلفهم بالله ، فقد أقسموا مجتهدين في أيمانهم . والمراد أنَّهم أكدوا الأيمان وشددوها بأقصى وسعهم ، لئن أمرهم الرسول (ﷺ) بالجهاد والخروج لملاقاة العدو ليُلبُّنَّ طلبه ، أو ليُخْرِجُنَّ من أموالهم الصدقة . ويرد الله عليهم بأن لا يقسموا ، لأنَّ الطاعة المطلوبة من أهل الإيمان ، إنَّما هي طاعة معروفة ، تكون فوق كل شبهة ؛ ولا تكون بحاجة إلى حلف أو قسم ، فإن الله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية فهو خبير بهم ، وبمكايدهم ، وبأخلاقهم الكاذبة ، وعالم بما تخفي ضمائرهم ، وأفكارهم وعزائمهم الخفية وإن أظهروا خلافها .

ولمّا نبه سبحانه وتعالى إلى خداعهم ، وأشار إلى عدم الاغترار بإيمانهم عاد فأمرهم بالطاعة الحقيقية ، باتباع كتاب الله وسنة رسوله ، فإنّ إعراضهم ونفاقهم وتركهم ما جاء به الرسول لن يضر الرسول (ﷺ) ، بل يضر أنفسهم، لأنَّ عليه إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة ، وعليهم قبول ذلك منه ليهتدوا به إلى الحق الموصل إلى كل خير ، المنجي من كل شر .

توجيه الآيات :

١. إنَّ القبول بحكم الله ورسوله دليل على صدق الإيمان .
٢. من علامات الكفر والنفاق الإعراض عن حكم الله ورسوله إذا كان فيه ضرر ، والقبول به إذا كان لجلب منفعة .
٣. ينال الإنسان رضاء الله وثوابه بطاعته وطاعة رسوله والخوف منه اتقاءً لعذابه .
٤. إنَّ الإيمان بالله تعود منفعته على صاحبه وحده ، ولا يضر الرسول كفر من كفر ، ولا ينفعه إيمان من آمن .

تدريب :

١. أذكر صفات المنافقين .
٢. ما الدليل على كذب المنافقين ؟
٣. بمَ حُمِّل الرسول (صلى الله عليه وسلم) ؟ وبماذا حُمِّل المؤمنون ؟
٤. أذكر بإيجاز سبب نزول الآية .
٥. ناقش : تطبيق حكم الشريعة واجب على كل مسلم .

(١-١-١٤) دولة المؤمنين تدوم بدوام الإيمان

الآيات (٥٥–٥٧)

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾

المعاني اللغوية :

ليستخلفنهم : ليجعلنهم خلفاء فيها .

وليمكنن لهم دينهم : ليجعلنه مُمَكناً بتثبيت قواعده وإعزاز جانبه .

معجزين في الأرض : أي لا تلحقهم قدرة الله .

أسباب النزول :

قال الربيع بن أنس : كان النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه بمكة نحواً من عشر سنين يدعون إلى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له سراً ، وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال ، حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة ، فقدموها فأمرهم الله بالقتال ، فكانوا فيها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح . فصبروا على ذلك ما شاء الله ؛ ثم أنَّ رجلاً من الصحابة قال : يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا ؟ أما يأتي علينا يومٌ نأمن فيه ، ونضعُ عنا السلاح ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : لن تصبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليست فيه حديدة . فأنزل الله الآية .

البيان العام :

بعد أن بين الله أنَّ من أطاع الرسول فقد اهتدى إلى الحق ، ومن اهتدى إلى الحق فجزاؤه دار النعيم ، أردف بذلك بوعده الكريم ، بأنَّه سيجعل المؤمنين

المطيعين لله خلفاء في الأرض ، ووعده ناجز ، وقوله صادق . وفي هذا الوعد تنبيه للمنافقين على أنَّ هذا الوعد الذي قطعه الله – سبحانه وتعالى – للمسلمين عام لكل من ينتمي للإسلام . وإنَّما وضع شرطاً لتحقق هذا الوعد ؛ وهو الإيمان والعمل الصالح ، فإذا تحقق الشرط تحقق المشروط ، وهو الاستخلاف والتمكين للدين الإسلامي الذي ارتضاه لهم .

طرق تمكين الدين :

والتمكين للدين يكون بإعزاز جانبه ، وإرساء قواعده ، وتقوية حجته ؛ فيتم تمكينه في القلوب ، كما يتم تمكينه في تصريف شؤون الحياة ، فيكون راسخاً ثابتاً قوي القدم ، فيعظم أهله في نفوس أعدائه الذين يواصلون الليل والنهار في التدبير لإطفائه ؛ وحتى يُقبل المؤمنون عليه بنفوس اشتراها الله ليكون لأصحابها الجنة ، فيجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ابتغاءً لرضوانه ؛ وقد حقق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فاستخلف المسلمين ، ومكن لهم دينهم ، وبدلهم من بعد خوفهم أمناً ، وسيظل هذا الوعد متحققاً للمؤمنين ما داموا مقيمين لشرط الاستخلاف ، وهو الإيمان العميق ، والعمل الصالح القائم عليه ، وعبادة الله وحده لا شريك له عبادة خالصة من الشرك والرياء ، وعبادة الله هي حق الله على العباد كما جاء في الحديث عن أنس أن معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ، حدثه فقال : (بينما أنا رديف النبي (ﷺ) على حمار ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل قال : " يا معاذ " قلت لبيك يا رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ثم قال : " يا معاذ بن جبل " قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ثم قال: " يا معاذ بن جبل " قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : " **هل تدري ما حق الله على العباد** ؟ " قلت: الله ورسوله أعلم . قال : " **حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً** " ثم سار ساعة ثم قال : " يا معاذ بن جبل " قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : " **هل تدري ما حق العباد على الله إن فعلوا ذلك** ؟ " قال : قلت: الله ورسوله أعلم . قال : " **فإنَّ حق العباد على الله ألا يعذبهم** " . أخرجه الشيخان .

وبعد هذا البيان الكامل ، فإنَّ من يخرج عن أمر الله وطاعته ، ويجحد نعمته ، وينكر فضلها ، فإنَّه فاسق خارج عن حدود الدين العظيم .

أسس ودعائم العمل الصالح :

وبعد أن بشر الله المؤمنين بالتمكين في الأرض . أتبع ذلك بالتوضيح لهم ، أنَّ العمل الصالح له دعائم يقوم عليها ، منها عبادة الله وحده المتمثلة في إقامة

الصلاة ، وهي التي تقود إلى فضائل كثيرة وتنهى عن رذائل كثيرة ، وإقامتها أن تؤدى في أوقاتها ، مع المحافظة على ركوعها وسجودها وخشوعها .

والدعامة الثانية الزكاة . فالصلاة لتقويم الفرد أولاً ، ثم الجماعة ثانياً . والزكاة لتطهير النفوس من البخل وتصفية الضمائر وتقوية الأواصر ؛ وكل هذا يكون مع طاعة الرسول والرضا بحكمه ، وتنفيذ شريعة الله في الصغيرة والكبيرة ، وتحقيق المنهج الرباني الذي أراده للحياة ، لتحل بنا رحمة الله التي تحميهم من الفساد والانحدار والخوف والقلق والضلال في الأرض ؛ وتحميهم في الآخرة من غضب الله وعذابه .

وطمأن الله النبي (ﷺ) والمؤمنين وبدد مخاوفهم حتى لا يرهبوا عدوهم مع كثرة عدده وقوته ، ما داموا سائرين على نهج الله في حياتهم ويعبدونه وحده بلا شريك ولا نديد ، فإنَّ الكافرين لن يجدوا مكاناً يهربون إليه من قبضة الله وإرادته .

توجيه الآيات :

١. لا يتحقق شرط الاستخلاف في الأرض إلا بالإيمان والعمل الصالح ، وإقامة شرائع الله في أرضه .
٢. إذا تمكن الدين في الأرض ، عظم أهله في نفوس أعدائهم وسيظل وعد الله متحققاً ما دام شرط الاستخلاف قائماً .
٣. من دعائم العمل الصالح إقامة الصلاة ، وإخراج الزكاة لتطهير النفس من رذيلة الشح .

تدريب :

١. ما شرط الاستخلاف في الأرض ؟
٢. كيف يكون تمكين الدين ؟
٣. ما علامات العمل الصالح ؟
٤. اذكر حق الله على العباد وحق العباد على الله .

آداب الاستئذان داخل الأسرة

الآيات (٥٨–٦٠)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠ ﴾

المعاني اللغوية :

الظهيرة	: وقت الظهر .
لم يبلغوا الحلم	: لم يحتلموا . والبلوغ هو مناط التكليف ويكون بالعلامات الطبيعية كخروج المني والحيض والنفاس وبتقدير السن وأقصاه ثماني عشرة سنة .
طوافون عليكم	: يطوفون عليكم .
القواعد من النساء	: النساء اللائي قعدن لكبرهن وضعفهن ، وانقطع طمع الرجال فيهن .
متبرجات	: التبرج هو الظهور والكشف . وتبرجت المرأة أظهرت زينتها لغير زوجها .

أسباب النزول :

قيل أنَّ هذه الآيات ، نزلت في أسماء بنت مرثد ، دخل عليها غلام لها كبير ، فاشتكت إلى رسول الله (ﷺ) فنزلت عليه الآية .

وقيل أنَّ سبب نزولها أن رسول الله (ﷺ) بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب ظهيرة ليدعوه ، فوجده نائماً قد أغلق عليه الباب ، فدق عليه الغلام الباب فناداه ودخل ، فاستيقظ عمر وجلس فانكشف منه شئ ، فقال عمر : وددت أنَّ الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا من الدخول علينا في هذه الساعات إلا بإذن ، ثم انطلق إلى رسول الله (ﷺ) ، فوجد هذه الآية قد نزلت فخرّ ساجداً .

البيان العام :

تقدم في أول السورة استئذان الأجانب بعضهم على بعض ، واشتملت هذه الآيات الكريمة على استئذان الأقارب بعضهم على بعض ، فالآية الأولى عامة ، وهذه الآية خاصة ، تحدد آداباً خاصة لمن يعيشون في أسرة كبيرة ، يكون فيها مجموعة من الأقارب والخدم ، فاستثنى في هذه الآيات دخول الأقارب بعضهم على بعض ، ودخول الخدم والمملوكين على سادتهم . وبيّنت أنَّ هذا الاستئذان لا يكون في جميع الأوقات ، بل يكون في ثلاث أوقات هي عورات لأرباب البيوت لما فيها من رفع الكلفة ، وقلة التحفظ والتستر .

الأوقات التي لا يجوز لأحد أن يدخل فيها إلا باستئذان :

فالخدم والإماء والعبيد البالغون منهم وغير البالغين ، والأطفال المميزون الذين لم يبلغوا الحلم يدخلون بدون استئذان ، إلا في أوقات ثلاثة تنكشف فيها العورات عادة . فهم يستأذنون فيها ، وهذه الأوقات هي : قبل صلاة الفجر حين يستيقظ الإنسان من نومه ، فيهب من فراشه ، فيخلع ثوباً ، ويلبس ثوباً . ولعله بحاجة إلى خلوة في هذه الحالة . ووقت الظهيرة عند القيلولة ، لأنَّ الإنسان يكون قد فرغ من عمله فيضع ثيابه ، ويرتدي ثياب النوم للراحة ، وبعد صلاة العشاء حين يخلعون ثيابهم ويلبسون ثياب النوم .

ويفهم من هذا السياق استحباب تعجيل النوم عقب صلاة العشاء والتبكير باليقظة قبل صلاة الفجر ؛ فذلك أعون على انتظام الصحة العامة .

ففي هذه الأوقات الثلاثة ، حيث يكون الإنسان وحده أو مع أهله لا يحسن فيها أن يدخل عليه الصغار من أطفال البيوت والخدم بدون استئذان . فعلى أولياء أمور الأطفال والخدم أن يؤدبوهم على الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة .

أمَّا غير هذه الأوقات ، فلا حرج ولا جناح على أولياء الأمور أن يدخل الصغار ، وخدم البيت عليهم في حجراتهم وأماكن خلوتهم بدون استئذان ؛ وفي هذا دفع للحرج والضيق الذي يمكن أن يلاقيه الصغار والخدم إذا أمروا بالاستئذان في كل الأوقات ، وذلك لصغر سنهم أو لقيامهم بالخدمة ، وهكذا بين الله فضله على عباده ، في بيان شرائعه ، وأحكام دينه ، فهو العليم بما يصلح عباده ، حكيم في تدبير أمورهم ، يشرع لهم ما يصلح أحوالهم في المعاش والمعاد .

أمَّا حين يدرك الأطفال الأحرار سن البلوغ فإنَّهم يدخلون في حكم الأجانب الذين يجب أن يستأذنوا في كل وقت ، حسب النص العام ، الذي مضت به آية الاستئذان ، وفي هذا دليل على علم الله بنفوس البشر وما يصلحها من الآداب ، ومقام حكمته كذلك في علاج النفوس والقلوب .

رفع الحرج عن النساء والعجائز :

ولما بين الله – سبحانه وتعالى – في الآيات السابقة حكم الشباب حين إقبال الشباب ، أتبعه بحكمه حين إدباره ، فعاد هنا يستثني النساء العجائز اللائي بلغن سن اليأس ، وقعدن عن الحيض والولد ، وقد يئسن من التبعل ، فلا يطمع فيهن الأزواج ، فلا حرج عليهن ولا إثم أن يخلعن ثيابهن الظاهرة ، التي لا يفضي وضعها لكشف العورة كالجلباب والرداء والقناع . وخير لهن أن يبقين عليهن ثيابهن الظاهرة الخارجية ، طلباً للعفة ، وإيثاراً لها ، لأنَّ الاستعفاف والاحتياط بالستر خير لهن وأكمل ، فالله يسمع ويعلم ما يجري بينهن وبين الرجال من الأحاديث ؛ عليم بمقاصدهن . لا تخفى عليه خافية من أمرهن .

توجيه الآيات :

١. أمر الله تعالى أن يستأذن الأجراء (الخدم) والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم على آبائهم وأولياء أمورهم في أوقات ثلاثة وأباح لهم الدخول في غيرها من الأوقات .
٢. على أولياء الأمور أن يعلموا أبناءهم ويؤدبوا خدمهم ومواليهم على الأدب الشرعي .
٣. متى بلغ الأطفال سن الرشد يجب أن يستأذنوا في كل الأوقات .
٤. على المرأة التي بلغت سن اليأس أن تبقي عليها من الثياب ما يصونها ويسترها ويحفظ عفافها .

تدريب :

١. على ماذا اشتملت هذه الآيات ؟
٢. لماذا استثنى الله اليائسات من هذه الأحكام ؟
٣. ماذا يفهم من قوله تعالى (. . . ومن بعد صلاة العشاء) ؟

(١-١-١٦) رفع الحرج عن أصحاب الأعذار

الآية (٦١)

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

المعاني اللغوية :

الحرج	:	في اللغة الضيق – ويراد به في الدين الإثم .
ما ملكتم مفاتحه	:	مما في تصرفكم وكالة أو حفظاً .
الصديق	:	يطلق على الواحد وعلى الجماعة – وهو من يصدق في مودتك وتصدق في مودته .
جميعاً	:	أي مجتمعين .
أشتاتاً	:	أي متفرقين .

أسباب النزول :

روي عن ابنَّ عباس أنه قال : لما أنزل الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [النساء : ٢٩] قال المسلمون : إنَّ الله عز وجل قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، وإنَّ الطعام من

أفضل الأموال ، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد ، فكف الناس عن ذلك ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ إلى ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ .

ويروى أنَّ قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ أنَّها نزلت في بني بكر بن ليث ، وهم حيٌّ من بني كنانة ، كان الرجل منهم لا يأكل وحده ، ويمكث أياماً جائعاً حتى يجد من يؤاكله ، ومنه قول بعض الشعراء :

إذا ما صنعتِ الزاد فالتمسي له أكيلاً فإني لست آكِلهُ وحدي

البيان العام :

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها :

إنَّ الحرج مرفوع عن الأعمى والمريض والأعرج ، وغيرهم من المعذورين في كل ما يضطرهم إليه العذر ، فالأعمى مرفوع عنه الحرج فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر ؛ والأعرج مرفوع عنه الحرج فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه المشي ؛ والمريض مرفوع عنه الحرج فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه الصحة ؛ كالصوم الذي يؤثر المرض في إسقاطه ، وقد يسقط العذر بعض أركان الصلاة وشروطها ؛ كما يسقط العذر الجهاد .

كما أنَّ أصحاب الأعذار هؤلاء وغيرهم من المعذورين ، رفع عنهم الحرج في الأكل من بيوت غيرهم ، وكذلك رفع الحرج في الآية عن سائر الناس ، في أكلهم من بيوت أقربائهم المذكورين في الآية ، مؤكدة لهم أنَّ أكلهم من بيوت أقربائهم وأصدقائهم ، مثل أكلهم من بيوت أنفسهم ، وفي هذا توسعة على الناس ، وبيان لما تقتضيه أواصر الصلات والمحبة بين الأفراد .

وبما أنَّ الآية أية تشريع ، نجد فيها دقة الأداء اللفظي ، والترتيب الموضوعي ، والصياغة التي لا تدع مجالاً للشك والغموض ، كما يلحظ فيها ترتيب القرابات ، فهي تبدأ ببيوت الأبناء والأزواج ولا تذكرهم ، بل تقول من (بيوتكم) فيدخل فيها بيت الابن ، وبيت الزوج ، فبيت الابن بيت لأبيه ، وبيت الزوج بيت لزوجته ، وتليها بيوت الآباء ، فبيوت الأمهات ، فبيوت الإخوة ، فبيوت الأخوات ، فبيوت الأعمام ، فبيوت العمات ، فبيوت الأخوال ، فبيوت الخالات ... ويضاف إلى هذا الخازن على مال الرجل ، فله أن يأكل مما يملك مفاتحه

بالمعروف ، ولا يزيد عن حاجته ، ولا يجوز أن يتجاوز إلى الادخار ، أو إلى ما ليس بمأكول ، هذا إذا لم تكن له أجرة ، فإذا ما كانت له أجرة على الخزن حرم عليه الأكل مما أؤتمن عليه إلا بإذن صاحبه ، ويلحق بهؤلاء بيوت الأصدقاء ، وفي هذا إشارة إلى شأن الصداقة ، ورفع الحرج عن الأكل في بيت الصديق لأنَّه أرضى بالأكل في بيته وأسر به ، من كثير من ذوي القرابة .

قال جعفر الصادق : " إنَّ حرمة الصديق أن يجعله الله من الأنس والثقة والانبساط ورفع الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ . ويراد بالأصدقاء في الآية الأصدقاء الخُلَّص ، الذين لا كلفة فيما بينهم " .

إباحة الأكل جماعة وأفراداً :

وبعد أن انتهى من البيوت التي يجوز فيها الأكل ، بيّن الحالة التي يجوز عليها الأكل ، حيث رفع الحرج والإثم من أكلهم مجتمعين أو متفرقين ، وإن اختلفت أحوالهم في الأكل ، وقد سوغ النبي (ﷺ) ذلك فصارت تلك سنة الجماعات ، التي تدعى إلى الطعام في النهد والولائم وفي الإملاق وفي السفر. والنهد ما يجمعه الرفقاء من مال أو طعام على قدر النفقة يُنفقونه بينهم . قال رسول الله (ﷺ) : "أخرجوا نهدكم فإنَّه أعظم للبركة وأحسن لأخلاقكم " .

وفي الختام بينت الآية آداب دخول هذه البيوت ، حيث عبرت عن أهل تلك البيوت بالأنفس ، لتنزيل أهلها منزلتها لشدة الاتصال ، وفي التعبير عنهم بذلك تنبيه على السر الذي اقتضى إباحة الأكل من تلك البيوت ، لأنَّ الداخل فيها كالداخل في بيت نفسه للقرابة ؛ لأنَّ في السلام تحية ثابتة بأمر الله مشروعة من لدنه ، ووصفها بالبركة ؛ لأنَّ فيها دعاء استجلاب للمودة ، ووصفها أيضاً بأنَّها (طيبة) ؛ لأنَّ صاحبها يستطيبها ، وهي تحية الإسلام ، تحية من عند الله مباركة طيبة ، وعن جابر بن عبد الله قال : " إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة " أورده ابن كثير .

وهكذا جرت عادة القرآن الكريم ، أن يبين الله آياته فيه ، فتملأ القلوب حكمة ، والنفوس رحمة ، والحياة تنظيماً ، وكل هذا لعل الناس يعقلونها ، فيزداد إيمانهم وتعلقهم بأهدابها .

توجيه الآيات :

١. رفع الله الحرج عن أصحاب الأعذار في التكاليف التي يضطرهم إلى عدم أدائها العذر ، كما رفع عنهم الحرج في الأكل والمؤاكلة مع أصحاب الأعذار .

٢. رفع الحرج عن سائر الناس ، في أن يأكلوا من بيوت المذكورين كأنها بيوتهم .
٣. رفعت الآية من مكانة الصديق ودرجته حتى صار كأنَّه من أولى القرابات .
٤. أباحت الأكل للأفراد مجتمعين إن شاءوا ، أو أفراداً إن شاءوا بلا حرج عليهم .
٥. أمر الإسلام عند دخول البيوت بالسلام على أهلها حتى يصير الداخل لهذه البيوت كأنه داخل بيته .

تدريب :

١. ما سبب نزول الآية ؟
٢. من هم أصحاب الأعذار الذين رفع عنهم الحرج ؟
٣. متى يباح لخازن المال أن يأكل بالمعروف ؟
٤. لماذا أمر الله بالسلام عند الدخول لهذه البيوت ؟

أدب الجماعة المؤمنة مع قائدها

الآيات (٦٢–٦٤)

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾

المعاني اللغوية :

أمر جامع	:	أمر مهم يحتاج إلى الاجتماع والتشاور .
دعاء الرسول	:	طلب الرسول لهم أن يجتمعوا .
يتسللون	:	التسلل الخروج خفية .
لواذاً	:	أي مستتر بعضهم ببعض .
يخالفون	:	يعرضون ويصدون.
فتنة	:	بلاء وامتحان .

أسباب النزول :

روي أنَّها نزلت في غزوة الخندق ؛ حيث جاءت قريش وقائدها أبو سفيان، وغطفان وقائدها عيينة بن حصن ، فضرب النبي (ﷺ) الخندق حول المدينة ، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة ؛ فكان المنافقون يتسللون لِواذاً من العمل ويعتذرون بأعذار كاذبة .

ورُوي أيضاً أنَّها نزلت في جماعة من المنافقين ، كانوا ينصرفون عن النبي (ﷺ) أثناء الخطبة في يوم الجمعة ، عندما كانوا يحسون بالحرج والألم ، وقت أن يشرح النبي (ﷺ) حال المنافقين ؛ لأنَّه لم يكن يوماً أثقل عليهم من يوم الجمعة .

البيان العام :

بعد أن بينت الآيات السابقة علاقة الناس مع بعضهم في البيوت ، وبينت آداب الاستئذان في الدخول ، هاهي الآن في ختام السورة ، تعالج آداب الاستئذان في الخروج ، والآداب التي يجب أن تراعى في حضرة قائد الأمة ، ومربيها وموجهها نحو الخير . فالآيات البينات الدلالة نزلت عليه ، فهو الذي يوضحها للناس ، والإيمان به والتصديق له جزء من الإيمان بمنزل الآيات .

أدب الانصراف من الاجتماعات :

وقد حصرت الآيات الإيمان فيمن اجتمعت فيه ثلاث خصال ، الإيمان بالله، والإيمان برسوله ، والتزام البقاء في الاجتماع معه (ﷺ) ، إذا كان في أمر مهم يتطلب رأياً لحرب ، أو عمل من الأعمال ، أو اجتماع في مشورة في أمر قد نزل ؛ فأهل الإيمان لا يذهبون حتى يستأذنوه ؛ لأنَّ الانصراف في هذه الحالـــة ضار بالشخص نفسه لحرمانه من شهود مجتمع مهم ؛ وضار بالمجتمعين أنفسهم ، لما يلاقونه من الضعف والوهن ؛ وشديد على النبي (ﷺ) نفسه لحرصه على هداية قومه .

لكيلا يصبح الأمر فوضى بلا نظام ولا وقار ؛ بينت الآيات ، قواعد النظام الاجتماعي الذي يجب أن يكون عليه المؤمنون مع النبي (ﷺ) ومع من يأتي بعده من خلفاء وأمراء يتولون أمور المسلمين . فمتى اجتمع المسلمون لغاية اجتماعية – في السلم أو الحرب – فإنهم لا يحل لهم أن يرجعوا عنه ، أو ينتشروا بدون إذن أميرهم .

ولما كان الإذن كالدليل على كمال الإيمان والمميز للمخلص وغيره أكدت الآيات أنْ من يستأذن من الرسول (ﷺ) ؛ ولا ينصرف إلا بعد إذنه له فهو مؤمن حقاً ، طائع لله ، مصدق بما أتاه من الرسول إيماناً منه بأنَّه من عند الله.

وللرسول الخيار في أن يأذن لمن شاء منهم ، أو لا يأذن ، لأنَّ هؤلاء المؤمنين لا يستأذنون إلا لضرورة ملحة ، وللقائد الموازنة بين المصلحة في البقاء والمصلحة في الانصراف ، على أن يستغفر الله لهم ، لأنَّ الإذن مهما كانت دواعيه فإن في طلبه بعض القصور الذي يحتاج إلى الاستغفار .

وتنبه الآيات إلى ضرورة الاستجابة لدعاء الرسول (ﷺ) ولا يجعلوا أمر الرسول ودعاءه لهم كما يكون من بعضهم لبعض ، فإنَّ لدعاء الرسول أهمية ليست كدعاء غيره . فهو إنَّما يدعوهم لأمر فيه صلاح دينهم ودنياهم فعليهم أن يتقبلوه بصدر رحب ونفس راضية .

ثم توعد الله المنصرفين خفية بغير استئذان من الرسول (ﷺ) والذين يخالفون أمره ومناهجه وطريقته وسنته وشريعته ظاهراً وباطناً من أن تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفر ونفاق ومحن وبلاء في الدنيا ، فتضطرب المقاييس ، وتنتشر الفوضى ، ويختلط الحق بالباطل ، والحلال والحرام ، فتفسد حياة الجماعة ، أو يُصيبهم عذاب مؤلم موجع في الآخرة .

ويختم الله السورة ببيان أنَّه المالك للموجودات بأسرها . خلقاً وملكاً وتصرفاً ، وهو عالم الغيب والشهادة فهو عالم بما يعمل العباد ومشاهد له ، وفي يوم القيامة عندما ترجع الخلائق إليه ، سيخبرهم بما عملوا من جليل أو حقير وصغير أو كبير ويجازيهم عليه .

توجيه الآيات :

١. الإيمان بالله ورسوله والتزام مجتمعه .
٢. إنَّ الانصراف عن مجلس النبي (ﷺ) بدون إذن إحدى علامات ضعف الإيمان ودليل على النفاق .
٣. هذه الأحكام ليست خاصة بالنبي (ﷺ) وحده ولكنها تشمل كل من يتولى أمور المسلمين من بعده .
٤. ضرورة الإسراع إلى حضور الاجتماعات التي تدعى إليها للأمور المهمة التي تتعلق بمصالحنا أفراداً أو جماعات أو تتعلق بمصالح الأمة .
٥. من يخالف أمر النبي (ﷺ) في حياته ، أو يخالف سنته بعد مماته ، سيتعرض لفتنة في قلبه من كفر ونفاق ، كما سيتعرض لمحن الدنيا ، وللعذاب الموجع في الآخرة .

تدريب :

١. ما الأضرار التي يتعرض لها من يتخلف عن مجلس النبي (ﷺ)؟
٢. على ماذا يدل طلب الإذن ؟
٣. بماذا توعد الله من يخالفون أمر النبي (ﷺ) ؟

آيات مختارة للتفسير والفهم

آيات المواريث

الآيات (٧ ، ١١ – ١٤ – ١٧٦) من سورة النساء

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ
وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا
قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ **** يُوصِيكُمُ
ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن
كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ
وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا
ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ
وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ
فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ
ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ
فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞
وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ

وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ
وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ
فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ
مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ
رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ
وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ
دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا
وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ****يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ
يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ

وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾

معاني الكلمات :

يوصيكم	:	يأمركم الله ويفرض عليكم .
حـــظ	:	نصيب .
فريضة	:	حقاً فرضه الله وأوجبه .
كلالـــة	:	من ليس له والد ولا ولد .
حدود الله	:	أحكامه وفرائضه التي لا يجوزتجاوزها .
مهين	:	مذل .

أسباب النزول :

عن جابر رضي الله عنه قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في أحد شهيداً ، وإن عمهما أخذ مالهما ، فلم يدع لهما مالاً ، ولاتنكحان إلا ولهما مال ، فقال : " يقضي الله في ذلك " فنزلت آية المواريث (يوصيكم الله في أولادكم ...) . فأرسل رسول الله إلى عمهما فقال : " أعط ابنتي سعد الثلثين ، وأمهما الثمن . وما بقي فهو لك " (رواه أحمد وأبو داؤد ، والترمذي) وهذه أول تركه قسمت في الإسلام .

أحكام الميراث :

بين الله تعالى في هذه الآيات أن للرجال والنساء نصيباً مما تركه الأقرباء قليلاً أو كثيراً مقداراً محدداً . وجاءت الآية بأسلوب الاطناب لتقرير وتؤكد المبدأ الذي أعطي الإسلام به النساء حق الميراث كالرجال منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، كما حفظ به حقوق الضعفاء ، والذين كانت الجاهلية تظلمهم وتأكل

حقوقهم لأنها كانت تنظر إليهم حسب قيمتهم العملية في الحرب والإنتاج . أما الإسلام فينظر إلى الإنسان حسب قيمته الإنسانية . ثم ينظر إليه حسب تكاليفه الواقعية في محيط الأسرة ومحيط الجماعة .

مقدمة عن علم الميراث (علم الفرائض) :

(١) تعريفه :

هو العلم الذي يعرف به من يرث ومن لا يرث ومقدار إرث كل وارث ، وهو من أجلَّ علوم الشريعة الإسلامية حيث تولي الله سبحانه وتعالى – قسمة الفرائض بنفسه . وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على تعلمه حين قال : " تعلموا الفرائض وعلموها فإنه نصف العلم وهو ينسى وهو أول شئ ينزع من أمتى " (أخرجه ابن ماجه) .

(٢) حكمة مشروعيته :

كان نظام التوريث في الجاهلية خاضعاً للأهواء والعواطف قائماً على الظلم والجور فيعطي الرجل منهم ماله لمن يشاء ويحرم من يشاء وكانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويقولون : **لا يعطي إلا من قاتل وحاز الغنيمة** ، ناسين أو متناسين أنهما أحق بالعطف والرحمة وأنهما يسدان ثغرة في بناء المجتمع لايستهان بها .

فجاء الإسلام ولم يكن قاسياً في القضاء على هذه الحريات بل كان رفيق الملمس لين المآخذ فأزال تلك الاحكام الظالمة بطريقته الرحيمة العادلة .

ولعلك تري أن نظام التوريث في الإسلام عني بملاحظة الحاجة بين أفراد الأسرة فكلما زادت الحاجة كثر العطاء وهأنت ذا تشاهد أن الأولاد أوفر حظاً من الآباء لضعفهم وإستقبالهم للحياة مع قوة الآباء واستدبارهم لها . كما تري أنه جعل للذكر مثل حظ الأنثيين مقابل ما طوق به أعناق الرجال دون النساء من تبعات جسام . هذا النظام الذي شرعه الإسلام فيه حكم جليلة وغايات نبيلة فهو :

(١) مظهر من مظاهر التكافل بين أهل الإسلام .

(٢) وسيلة من وسائل تفتيت الثروة حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء .

(٣) عدل بين الجهد والجزاء (الجهد الذي يبذله الآباء والأمهات والجزاء الذي يلقاه فأبناؤه جزء منه إذ الصلة بين الوالدين لا تنقطع) كما قال سيد قطب .

(٤) عدل بين المغانم والمغارم في جو الأسرة لأن الآباء والأمهات يورثونهم صفات خلقية فمن العدل الاجتماعي أن يرث الأولاد جهود آبائهم وأمهاتهم ليكون هناك شئ من التعادل بين المغانم والمغارم .

(٣) أركان الميراث :

أ . موّرث : وهو الميت .

ب. وارث : وهو الشخص الذي ينتمي إلى الميت بسبب من أسباب الميراث .

ج. موروث : وهو المال أو التركة التي تركها الميت .

(٤) أسباب الميراث :

أ. الزواج الصحيح بمجرد العقد .

ب. النسب أو القرابة وهي كل صلة سببها الولادة .

ج. الولاء وهي قرابة حكميةٌ حاصلة بسبب العتق .

(٥) شروط الميراث :

ذكر الفقهاء لثبوت الميراث شروطاً ثلاثة :

أ. موت المورث حقيقة أو حكماً (كالمفقود) .

ب. حياة الوارث بعد موت مورثه حقيقة أو حكماً (كالحمل) فالجنين في بطن أمه يستحق الميراث .

ج. ألا يوجد مانع من الموانع التي تمنع الشخص من الميراث .

(٦) موانع الميراث :

أ. القتل كما جاء في الحديث (ليس لقاتل ميراث) أخرجه مالك وأحمد.

ب. اختلاف الدين كما جاء في الحديث (لايرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم) متفق عليه .

ج. الرق (العبودية) وهو عجز حكمي سببه الكفر والأسر في الحرب وهو ضرورة وليس أصلاً ولا شرعاً في الإسلام ، لأن الله خلق الناس أحراراً كما ولدتهم أمهاتهم .

(٧) الحقوق المتعلقة بالتركة :

التركة هي ما تركه الميت خالياً من حقوق الآخرين ، ويبدأ من تركة الميت بما يأتي :

أ. تجهيز الميت وتكفينه .

ب. تسديد ديونه .
ج. تنفيذ وصيته بشرط ألا تزيد عن ثلث التركة، ولا يوصي لأحد الوارثين.
د. تقسيم الباقي بين الورثة المستحقين للإرث .

تدريب :

(١) عرف علم الميراث وبين أهميته .
(٢) ما الحكمة من توزيع الميراث ؟
(٣) لماذا تولى الله تعالى بنفسه توزيع الميراث ؟
(٤) أذكر أركان الميراث وأسبابه .
(٥) رجل وصى بجميع ماله في سبيل الله . هل تنفذ وصيته ؟
(٦) اختفى رجل من أهله ولم يعرف له مكان. هل يوزع ماله لورثته؟
(٧) رجل قتل عمه. هل يعطى من ميراثه شيئاً ؟

أنواع الارث

المستحقون للميراث إما أن يرثوا بالفرض أو التعصيب أو بالجمع بينهما .

(١) **الفرض** :

هو النصيب أو المقدار الذي حددته الشريعة الإسلامية للوارث والفروض المقدرة سبعة : السدس والثلث والثلثان والثمن والربع والنصف وثلث الباقي وهو خاص بالأم إذا كان معها الأب وأحد الزوجين .

والذين يرثون بالفرض هم :

أ. **من النساء** : الزوجة – الأم – الجدة – البنت – بنت الابن (في حالة عدم وجود البنت) الأخت الشقيقة – الأخت لأب والأخت لأم .

ب. **من الرجال** : الزوج – الأب – الجد – الإخوة لأم فقط .

(٢) **التعصيب** :

العاصب هو من ليس له سهم مقدر أو مقدار محدد ويأخذ ما بقي بعد أصحاب الفرض وإذا إنفرد أخذ المال كله .

الحجب :

وهو منع الشخص من الميراث كله أو بعضه لوجود من هو أولى منه وهو **نوعان :**

(أ) حجب حرمان :

وهو منع الشخص من جميع الميراث كحجب الأخ بالإبن فإن الأخ لا يرث شيئاً عند وجود الإبن مثلاً .

(ب) حجب نقصان :

وهو منع الوارث من نصيب أكثر إلى أقل منه ، كحجب الأم بالأخوة ، فينقص نصيبها من الثلث إلى السدس .

ملاحظة :

أ. هناك فئات لا تحجب حجب حرمان هم :

١. الأولاد (الأبناء – البنات) .

٢. الوالدان (الأب – الأم) .

٣. الزوجان (الزوج – الزوجة) .

ب. كل وارث قريب يحجب البعيد فالأب يحجب الجد والأم تحجب الجدة والأبن يحجب أبناء الإبن وهكذا .

تدريب:

١- ما الفرق بين الفرض والتعصيب.
٢- عدد الفروض المقدرة.
٣- كم من الرجال يرثون بالفرض ومن هم؟
٤- ما معنى الحجب؟ وبين أنواعه؟
٥- من الذي لا يحجب حجباً نهائياً؟
٦- هل الإبن يحجب الأخ؟

ميراث الآباء (الأصول) :

يشمل الأصول الأباء والأجداد والأمهات والجدات .

(أ) الأب :

يرث بالفرض والتعصيب وله ثلاث حالات هي :

١. السدس فرضاً إذا كان للميت ابن ذكر (وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞ) .

٢. السدس فرضاً والباقي تعصيباً إذا كان للميت بنت واحدة .

٣. يرث المال كله إذا انفرد به.

ملاحظة :

أ. يحل الجد محل الأب في الحالة الأولى والثانية ، وفي الحالة الثالثة يشترط أن لا يكون للميت إخوة .

ب. الأب يحجب جميع إخوان وأخوات الميت وأبناءهم ولا يحجبهم الجد .

ج. الأب أيضاً يحجب أعمام الميت وأبناءهم .

(ب) ميراث الأم :

ترث الأم بالفرض فقط ولها ثلاث حالات هي :

(١) ترث السدس فقط إذا كان للميت فرع مذكر أو مؤنث أو كان له إخوة ذكوراً وإناثاً ﴿ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ ﴾ .

(٢) الثلث إذا لم توجد الشروط السابقة ﴿ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ﴾ .

(٣) ثلث الباقي وهو الفرض الوحيد الذي لم يرد في القرآن الكريم إذا كان مع الأم والأب أحد الزوجين، وإنما ثبت بالسنة القولية وقضى به الخلفاء الراشدون فثبت بالسنة والإجماع. .

ملاحظة :

الجدة ترث السدس فقط في كل الحالات .

تدريب:

١. ما المقصود بالأصول؟
٢. متى يرث الأب بالفرض فقط؟
٣. متى يرث بالفرض والتعصيب؟
٤. ما معنى إذا انفرد؟
٥. أكمل الآتي:

يرث الجد السدس إذا كان ..... ويرث السدس فرضاً والباقي تعصيباً إذا كان .....

٦. هل الجد يحجب الأخوة؟
٧. وضح الحالات الثلاثة التي ترث فيها الأم.
٨. ما الفرض الوحيد الذي لا يوجد في القرآن الكريم؟

ميراث الأولاد الفروع :

يشمل الأولاد الأبناء الذكور والبنات الإناث وكذلك يشمل أبناء الأبناء وبناتهم ما عدا أبناء البنات ذكوراً وإناثاً.

أ. الأبناء الذكور :

يرثون بالتعصيب فقط أي ليس لهم نصيب محدد ولهم ثلاث حالات هي :

(١) أخذ المال كله إذا كان للميت ولد ذكر واحد.
(٢) اقتسام المال بينهم بالتساوي إذا كانوا أكثر من واحدٍ .
(٣) يأخذ الواحد منهم ضعف أخته ﴿ وَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ .

ملاحظة :

أ. يحل ابن الابن محل الابن عند عدمه .
ب. يحجب الأبناء جميع إخوان وأخوات الميت وأعمام وعمات الميت وأولادهم .

ب. ميراث البنات :

ولهن ثلاث حالات هى :

(١) ترث الواحدة منهن النصف إذا لم يكن معها عاصب (أخ) ﴿ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ﴾ .

(٢) ترث البنتان فما فوق الثلثين إذا لم يكن معهما عاصب (أخ) ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾ .

(٣) ترث نصف ما يرثه أخوها ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ .

ملاحظة :

تحل بنت الابن محل البنت الصلبية عند عدمها وإذا اشتركت مع البنت الصلبية فإن لها ١/٦ تكملة للثلين .

تدريب:

١- ما المقصود بالفروع؟

٢- هل للأولاد الذكور سهم مقدر؟

٣- أكمل الآتي:

يأخذ الولد المال كله في حالة..... ويقتسم الأولاد المال بينهم إذا كانوا..... وإذا اجتمعوا ذكوراً وإناثاً .....

٤- متى يحل ابن الإبن محل أبيه؟

٥- من هؤلاء الذين يحجبهم الإبن؟

٦- بين حالات ميراث البنت.

ميراث الزوجين :

يرث كل من الزوجين عن طريق الفرض المقدر من القرآن الكريم .

أ. الزوج :

(١) يرث النصف إذا لم يكن لزوجته الميتة ولد (ذكر أو أنثى) ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ﴾ .

(٢) يرث الربع إذا كان لزوجته الميتة ولد ﴿ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ ﴾ .

ب. الزوجة :

(١)ترث الربع إذا لم يكن لزوجها المتوفي ولد ﴿ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ﴾ .

(٢) ترث الثمن إذا كان لزوجها المتوفى ولد ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ﴾.

ميراث الإخوة : (**وهم الحواشي ويشمل : الأخوان وأبناءهم والأخوات والأعمام وأبناءهم**)

ينقسم الإخوة إلى إخوة أشقاء وإخوة لأب وإخوه لأم .

أ. ميراث الإخوة الأشقاء أو لأب (الذكور) .

يرثون عن طريق التعصيب ولهم ثلاث حالات :

(١) الأخ الواحد يرث المال كله إذا انفرد به .

(٢) إذا كانوا أكثر من واحد يقسمون المال بينهم بالتساوى .

(٣) إذا كانوا إخوة وأخوات قسموا المال بينهم للذكر ضعف ما للأنثى .

ملاحظة :

أ. الإخوة يحجبون بالأب والابن حجب حرمان .

ب. الإخوة الأشقاء يحجبون الاخوة لأب حجب حرمان .

ميراث الأخوات الأشقاء أو لأب :

يرثن بالفرض المقدر في القرآن الكريم ولهن ثلاث حالات هي :

(١) الأخت الواحدة ترث النصف، كما ترث الـ ١/٦ تكملة للثلثين مع البنت الصلبية .

(٢) الأختان ترثان الثلثين .

(٣) يَرثن نصف ما يرثه الإخوة .

الدليل الآية ، قال تعالى : ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾.

ملاحظة :

تحجب الأخوات بالأب وبالفرع الوارث المذكر حجب حرمان .

ميراث الأخوة لأم :

وهم يرثون بالفرض المقدر في القرآن الكريم ولهم حالتان :

(١) للواحد منهم السدس ذكراً كان أم أنثى .

(٢) الثلث للأثنين فما فوق يقسمون بينهم بالتساوى ذكوراً كانوا أم إناثاً .

ملاحظة :

(١) يحجبون بالأب وبالفرع الوارث مطلقاً ذكراً أم أنثى .

(٢) تأخذ الأخت الشقيقة ½ وترث الأخت لأب ⅙ تكملة للثلثين (نصيب البنات).

تدريب :

(١) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام الإجابة الخاطئة

أ. الزوج والزوجة يرثان بالفرض ( )

ب. الإخوة والأخوات الاشقاء يرثون بالتعصيب ( )

ج. الإخوة لأم يرثون بالفرض ( )

(٢) ما ميراث كل من الآتي :

أ . زوجة وولد ذكر .

ب. زوج وأخ شقيق .

ج. أخت شقيقة .

د. أختان شقيقتان وأخ شقيق .

هـ. أخ لأم وأخت لأم .

و. أخت لأم وأخ شقيق .

(٣) ضع خطاً تحت الاجابة الصحيحة مما يأتي :

أ . الابناء الذكور يرثون بـــ : الفرض – التعصيب – الفرض والتعصيب .

ب. الاباء يرثون بـــ : الفرض – التعصيب – الفرض والتعصيب .

ج. الامهات يرثن بـــ : الفرض – التعصيب – الفرض والتعصيب .

(٤) كم نصيب الواحد إذا مات ميت وترك :

١) ولداً ذكراً وأخاً شقيقاً ؟

٢) ولدين ذكرين ؟

٣) ولداً وبنتاً وأختاً شقيقة ؟

٤) بنتاً واحده وأباً ؟

٥) بنتين وأماً ؟

٦) أباً وولداً ؟

٧) أباً وبنتاً ؟

٨) أباً وأخاً لأم ؟

٩) أماً وولداً ؟

١٠) أماً وأباً وأخاً ؟

١١) أماً وأباً وزوجة ؟

خلاصة أحكام الميراث

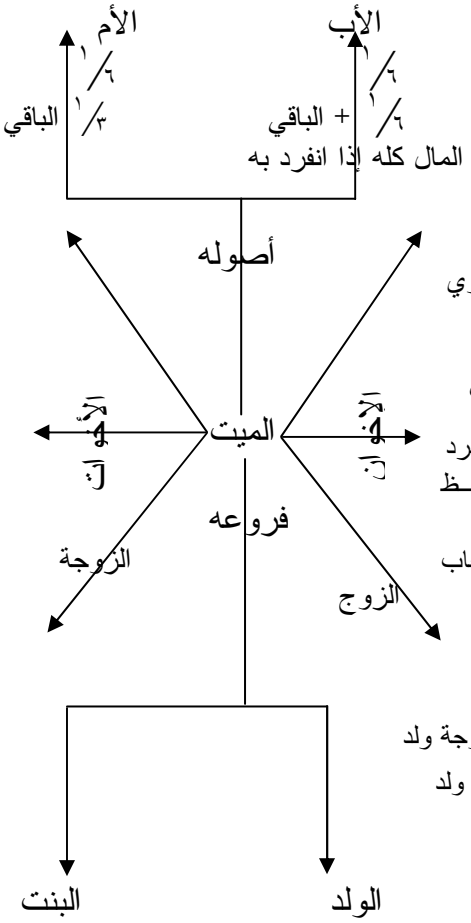

الأخت لأم :
١/٦ إذا كانت واحدة
١/٣ يقسم بينهم بالتساوي إذا تعدد الأخوة لأم

الأخ لأم:
١/٦ إذا كان واحداً
١/٣ يقسم بينهم بالتساوي إذا تعد الأخوة لأم.

١/٢ الشقيقة أو لأب إذا كانت واحدة
٢/٣ إذا كن اثنتين فأكثر
١/٢ ما يرثه أخوها

الأخ الشقيق أو لأب
يرث المال كله إذا أنفرد
يرث للذكر مثل حظ الأنثيين
يرث الباقي بعد أصحاب الفروض

١/٤ إذا لم يكن للزوج ولد
١/٨ إذا كان للزوج ولد

١/٢ إذا لم يكن للزوجة ولد
١/٤ إذا كان للزوجة ولد

١/٢ إذا أنفردت
٢/٣ إذا كن اثنتين أو أكثر
١/٢ ما يرثه اخوها

يرث المال كله إذا انفرد به
يرث ضعف أخته
يرث الباقي بعد أصحاب الفروض

أكمل الجدول الآتي:

السهم	١/٨	١/٤	١/٢	١/٦	١/٣	٢/٣
المستحقون له			البنت		الأم	البنات إذا تعددن
		الزوج		الجد		
			الأخت الشقيقة			
				الأم		

صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان
الآيات من ٦٣ ـ ٧٧

وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا
خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ
لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا
عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ
مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ
وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ
إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا
يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ
يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا
مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ
إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا

تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾
قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ
يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾

معاني المفردات :

هونا	:	الهون : الرفق والسكينة والوقار .
لم يسرفوا	:	الإسراف : مجاوزة الحد في الإنفاق .
لم يقتروا	:	من الإقتار وهو التضييق الذي هو ضد الإسراف .
قواما	:	العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين .
أثاما	:	الوبال والنكال .
متابا	:	التوبة التامة .
باللغو	:	اللغو من الكلام ما لا يعتد به .
قرة عين	:	كناية عن الفرح والسرور .
الغرفة	:	الدرجة الرفيعة .
ما يعبؤ بكم	:	ما يبالي بكم ربى .

تفسير الآيات :

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ..... ﴾

إضافة كلمة عباد الرحمن توحي بأن هنالك عباد للدنيا والشيطان والهوي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، .... " .

والمعنى أن عباد الرحمن الذين يستحقون الجزاء والأجر من ربهم هم الذين يمشون في سكينة ووقار لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشراً وبطراً . روي أن عمر رأى غلاماً يتبختر في مشيته فقال : إن البخترة مشية تكره إلا في سبيل الله .

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾

والمعنى إذا كلمهم السفهاء الكلام القبيح قالوا قولاً يسلمون فيه من الأذى والإثم أي فلا يجهلون مع من يجهل ولا يسافهون أهل السفه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزيده شده الجاهل إلا حلماً قال الإمام الشافعي :

يخاطبني السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلماً كعود زاده الإحراق طيبا

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾

بعد أن ذكر الله تعالى صفات المؤمنين وسيرتهم بالنهار مع الخلق وهي ترك الإيذاء وتحمل الأذى ، أراد أن يبين صفاتهم بالليل وهم بائتون ساجدون قائمون لربهم .

ما مدة القيام بالليل حتى يطلق على القائم بائتا لله ؟

قال بعض العلماء : من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة الليل وإن قل فقد بات ساجداً وقائماً ، وقال بعضهم بصلاة ركعتين كما قال ابن عباس رضى الله عنهما : من صلى بعد العشاء الأخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجداً أو قائماً .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ..... ﴾

والمعنى أنه تعالى وصف حالهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذاناً بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون إلى الله في صرف العذاب عنهم كقوله ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ..... ﴾ سورة الزمر .

وقوله ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾أي هلاكاً وخسراناً ملحاً لازماً .

﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ ساءت جهنم منزلاً ومقاما ، أي موقع استقرار وإقامة .

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ ..... ﴾

والمعنى والذين إذا أنفقوا أموالهم على أنفسهم وعلى أهليهم أو في جميع مصارف الخير ﴿ لَمۡ يُسۡرِفُواْ ﴾ أي : لم يجاوزوا الحد المشروع في ذلك الإنفاق ﴿ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾ أي لم يضيقوا تضييق الشحيح .

وخلاصة المعنى أن عباد الرحمن ليسوا بالمبذرين في إنفاقهم فلا ينفقون فوق الحاجة ولا يبخلون على أنفسهم وأهليهم فيقصرون فيما يجب نحوهم ، بل ينفقون عدلاً وسطاً وخير الأمور أوسطها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا عال من اقتصد " أخرجه أحمد في المسند .

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ..... ﴾

الملاحظ أنَّ الله تعالى نزه عباد الرحمن عن الأمور الخفيفة فكيف يليق بعد ذلك أن يطهرهم عن الأمور العظيمة مثل الشرك والقتل والزنا ، أليس أنه لو كان الترتيب بالعكس منه كان أولى ؟

أجيب أن الموصوف بصفات التواضع وعدم التكبر وقيام الليل وعدم الإسراف قد يكون متمسكاً بالشرك تديناً ومقدماً على قتل الموءودة تديناً وعلى الزنا تديناً فبين الله تعالى أنه لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن .

وقيل المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين سيرة المؤمنين وسيرة الكفار كأنه قال : وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر وأنتم تدعون ، ولا يقتلون النفس وأنتم تقتلون . ولا يزنون وأنتم تزنون .

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ ﴾

توعد سبحانه وتعالى من يفعل مثل هذه الأفعال بشدة العقاب وبأنه يلق أثاما أي وبالاً ونكالاً ثم يزاد له العذاب يوم القيامة بقدر معاصيه وذلك لانضمام المعاصي إلى الكفر مع الخلود في النار والذلة والحقارة (إلا من تاب) من الشرك والقتل والزنا ، وعمل عملاً صالحاً ، فأولئك يوفقهم الله للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات والإيمان والطاعة ، ولم يرد به أن السيئة بعينها تكون حسنة .

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ ..... ﴾

والمعنى لا يحضرون مواضع الكذب فإن حضور مجامع الفساق مشاركة لهم في تلك المعصية ، ولأن النظر إليها دليل الرضا بها .

وقيل لا يشهدون أعياد المشركين واليهود والنصارى ، والأولى التعميم أي لا يشهدون مواضع المعاصي كلها أياً كانت ، أو لا يشهدون الشهادة الكاذبة لأن "يشهدون" قد تكون بمعنى الشهادة أو الحضور .

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ ﴾

إذا مروا بمجالس اللغو واللهو والباطل مروا معرضين عنها مسرعين مكرمين أنفسهم بترك الالتفات إليها .

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ ..... ﴾

والمعنى والذين إذا وعظوا بالآيات المشتملة على الأحكام والمواعظ أكبوا على تلك الآيات حرصاً على استماعها ، وأقبلوا على المذكر بها سامعين له بآذان واعية وعيون مبصرة ، لا كالذين يظهرون الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان .

المراد من النفي نفي الصمم والعمى لا نفى الخرور .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا ..... ﴾

والمعنى أنهم طلبوا من ربهم أمرين أن يكون لهم من أزواجهم وذرياتهم من يعبدون الله ويطيعونه فتقر بهم أعينهم في الدنيا والآخرة وأن يكونوا هداة مهتدين ، دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ..... ﴾

أولئك المتصفون بصفات الكمال الموسومون بفضائل الأخلاق والآداب يجدون المنازل الرفيعة والدرجات العالية بصبرهم على فعل الطاعات واجتنابهم للمنكرات ويبتدرون فيها بالتحية والاحترام والإكرام .

﴿ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمٗا ﴿٧٥﴾ ﴾

أي تلقاهم الملائكة بالتحية ، والقصد ويلقون فيها التوقير والاحترام .

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ ﴾

أي حسنت تلك الغرفة قراراً لهم وذلك لسلامة أهلها من الآفات وخلودهم فيها ابد الآباد .

﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ ..... ﴾

قل لهؤلاء الذين أرسلت إليهم إن الفائزين بتلك القيم الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون إنما نالوها بما ذكر من تلك المحاسن ولولاها لم يعتد بهم ربهم ، ومن ثم لا يعبأ بكم إذا لم تعبدوه ، أما أنتم فقد كذبتم إذ خالفتم حكمي وعصيتم أمري فسوف يلزمكم عقاب تكذيبكم فاستعدوا له وتهيؤا لذلك اليوم .

تدريب :

(١) ما معنى (هونا ، لم يقتروا ، أثاما ، الغرفة) ؟
(٢) هنالك عباد لغير الرحمن ؟ من هم ؟
(٣) بم تصف الذي يمشى على الأرض مرحاً متفاخراً ؟
(٤) ما المشية التي يحبها الله ؟ وما المشية التي يبغضها الله ؟
(٥) أكمل الآتي :

أ. كان من خلق النبي صلى الله عليه وسلم لا تزيد شدة الجهل عليه إلا .....

ب. يخاطبنا السفيه بكل قبح .....
..... كعودٌ زاده الإحراق طيبـــا

(٦) ما الذي يدل عليه قولهم : ربنا أصرف عنا عذاب جهنم .....

(٧) فسر الآية الآتية : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ ..... ﴾ .

(٨) ما المقصود بقوله : ﴿ لا يشهدون الزور ﴾ .

نشاط :

(١) هنالك آية في سورة يس تبين أن صنفاً من الناس يعبدون الشيطان وآية أخرى في سورة الجاثية تبين أن صنفاً آخر يعبد الهوي . اكتبهما في كراستك .
(٢) في سورة الإسراء وسورة لقمان آيتان تنهيان عن التبختر في المشي ، اكتبهما في كراستك .

من الآيات المختارة
آيات العدل والوفاء بالعهد
سورة النحل (٩٠ – ١٠٠)

إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ

﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ
أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن
ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ
أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ
فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

معاني المفردات :

العدل	:	الإنصاف أو القسط والتسوية في الحقوق .
إيتاء ذي القربى	:	إعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه من مال والدعاء بالخير .
الفحشاء	:	الذنوب المفرطة في القبح قولاً أو فعلاً .
المنكر	:	كل ما أنكره الشرع .
البغي	:	العدوان على الناس
يعظكم	:	أي بما يأمركم به .
تذكرون	:	تتعظون .
لا تنقضوا الأيمان	:	الأيملن: جمع يمين، لا تحنثوا في الحلف والقسم .
كفيلا	:	شاهداً ورقيبا .
نقضت	:	حلت وفكت .
دخلا	:	الغش والخيانة .
أربي	:	أزيد عدداً وعُدة .
سلطان	:	**سيطرة.**

الشرح :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ..... ﴾

هذه الآية هي أجمع آية في القرآن لخير وشر كما قال ابن مسعود . وقال قتادة : " ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحب إلا أمر الله به في هذه الآية وليس من خلق سيئ إلا نهى الله عنه في هذه الآية .

هذه الآيات تحوي المبادئ التي تكفل تماسك الجماعة واطمئنان الأفراد والأمم والشعوب ، والثقة بالمعاملات ، والوعود والعهود .

جاءت بالعدل الذي قامت به السموات والأرض ، الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة لا تميل مع الهوي ولا تتأثر بالود والبغض قال تعالى:

﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْ ﴾ [المائدة: ٨] (شنآن: بغض).

عن محمد بن كعب القرظى قال : دعاني عمر بن عبد العزيز فقال : صف لي العدل فقلت : بخ سألت عن أمر جسيم ، كن لصغير الناس أباً ، ولكبيرهم ابناً ، وللمثل منهم أخاً ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم ، وعلى قدر أجسامهم ، ولا تضربن بغضبك سوطا واحداً فتكون من العادين .

قال بعض العلماء أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بثلاثة ، ونهى عن ثلاثة أشياء وجمع في هذه الأشياء الستة علم الأولين والآخرين .

وكان عمر بن عبد العزيز يختم خطبة الجمعة بهذه الآية:

﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ..... ﴾

والأمر بالوفاء بالعهد يشمل بيعة المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم ويشمل كل عهد على معروف يأمر به الله ، والوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع ولا تقوم إنسانية .

وقد تشدد الإسلام في مسألة العهود والوفاء بها لدرجة أنه ينفر من نقض العهد ويشبهه بحال امرأة حمقاء ضعيفة العزم والرأي تفتل غزلها ثم تنقضه ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ... ﴾ .

وكان بعض ضعفاء الإيمان يبررون نقض عهودهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ومن معه أمة ضعيفة وقريش أمة كثيرة ، فنبههم إلى أن هذا ليس بمبرر ولا حجة ، وهذا ما تفعله كثير من الدول الآن تنقض عهدها مع دول بحجة المصلحة والمنفعة لخوفها من دول أخرى أكبر منها ، وهذا امتحان من الله تعالى لينظر من يثبت على عهده ووعده ومن تزل قدمه .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَـٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ..... ﴾

المعنى : لا تجعلوا إيمانكم خديعة تغرون بها الناس لأنكم بعملكم هذا النقض تكونون قد وقعتم في محظورات ثلاثة :

(١) إنكم تضلون وتبعدون عن محجة الحق والهدي .
(٢) إنكم تكونون قدوة لغيركم للصد عن سبيل الحق .
(٣) إنكم ستعاقبون في الآخرة أشد العقاب جزاء ما فعلتم وكسبتم .

﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً ..... ﴾

ولو شاء الله لجعل الناس على دين واحد بمقتضى الغريزة والفطرة ، ولم يجعل لهم اختياراً فيما يفعلون فيكونون أشبه بالملائكة مفطورين على طاعة الله وقبول الحق وعدم الميل والزيغ ، ولكن الله تعالى من حكمته جعلهم كاسبين لا ملهمين وعاملين بالاختيار لا بالإجبار .

﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ ..... ﴾

أي لا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسم عرضا من الدنيا يسيراً لأن أهل قريش كانوا يغرون ضعفاء الإيمان لنقض عهودهم والتخلي عن الدين ، واليوم كثرت المغريات في عالمنا من دول كبيرة وعظمى لنترك ديننا وعهودنا مع الله ورسوله ، ولكن ما عند الله تعالى وخبأه لنا من جزيل الأجر والثواب هو أفضل لنا من العرض القليل من الدنيا لأن عرض الدنيا مهما كان كثيراً فهو قليل لأنه يفنى وينفد وما عند الله باق .

﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ ..... ﴾

هذه الآية تبين قاعدة عامة للجزاء وتقرر أن الجنسين الذكر والأنثى متساويان في قاعدة العمل والجزاء وفي صلتهما بالله وفي جزائهما عند الله .

وتقرر أن العمل الصالح لا بد له من قاعدة متينة يرتكز عليها ، وهي قاعدة الإيمان بالله .

وتقرر أن العمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في الأرض ، والحياة الطيبة ليست شرطاً أن تكون ناعمة رغدية ثرية المال ، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال تطيب بها الحياة .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ..... ﴾

الأمر بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تمهيد للجو الذي يتلى فيه كتاب الله وتطهير له من الوسوسة واتجاه بالمشاعر إلى الله خالصة لا يشغلها شئ من عالم الرجس والسحر الذي يمثله الشيطان .

وقوله ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ ..... ﴾

تأكيد للذين يتوجهون إلى الله وحده ويخلصون قلوبهم لله أن الشيطان لا يخلص إليهم ولا يتمكن منهم ، إنما يتمكن ويسيطر على الذين يجعلونه ولياً لهم ويستسلمون له بشهواتهم ونزواتهم .

التقويم :

(١) الآية (٩٠) أمرت بثلاثة مبادئ أخلاقية جاء بها الإسلام ونهت عن ثلاث رذائل . اذكرها .

(٢) ما السر في قراءة الآية (٩٠) في خطبة الجمعة ؟

(٣) ما العدل ؟

(٤) ما المقصود بالعهد في قوله ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ ؟

(٥) كيف نفر الإسلام من نقض العهد في هذه الآيات ؟

(٦) كثر نقض العهود من بعض الدول في الآونة الأخيرة . علل .

(٧) ما أثر اتخاذ الأيمان خديعة وغشاً للناس ؟

(٨) لماذا لم يجعل الله تعالى الناس أمة واحدة ؟

(٩) ما القواعد التي تقررها الآية الآتية: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ ... ﴾

(١٠) ما فائدة الأمر بالإستعاذة من الشيطان الرجيم عند التلاوة ؟

(١١) يظن بعض الناس أن الحياة الطيبة هي كثرة المال والبنين . كيف ترد عليهم ؟

أحكام فقهية وعقائدية عامة

* أحكام النسل
* الأيمان
* النذر
* الوقف
* الدّين
* التوحيد

تمهيد :

أنَّ من يدقق النظر في أحكام الشريعة الإسلامية يدرك ما فيها من دلالة على عمق الإسلام واهتمامه بشؤون المسلمين في حياتهم الفردية ولذا كانت الفروض العينية كالصلوات الخمس لازمة يؤديها كل مسلم وهي مشروعة ديناً ولا تصلح حياة الأفراد بدون دين . كما اهتم الإسلام بالأسرة فشرع الزواج وهو أمثل نظام لتكوين الأسرة الصالحة حتى تنتج ذرية قوية متماسكة لما تجده من الرعاية والعناية ولهذا قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم : ٢١].

فشرع الله الزواج ليحقق أهدافاً اجتماعية ومقاصد مثلى ويؤتى ثماره بإنجاب الأولاد استمراراً للحياة وإعماراً للأرض فأين هذه المقاصد من الزواج العرفي .

هذا وقد حرص الإسلام على إقامة الحضارة الإسلامية فأقام المسلمون المؤسسات الإسلامية التي تتجلى في دور العلم والعبادة كالجامعات الإسلامية والمساجد العديدة ودور للعلاج والأخذ بيد الضعفاء كالمؤسسات الاقتصادية التي تراعي حق المستضعفين ، ولهذا دعا الله للاعتصام بالدين في الاعتقاد والعمل مما يظهر في تدافع المسلمين الذين يريدون تطهير أنفسهم من البخل والشح عن طريق تزكية الأنفس بإخراج ما فرض على الأغنياء ، أو عن طريق النذر الذي يجب الوفاء به ، ولذا مدح الله المؤمنين فقال : ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإنسان : ٧-٩] .

وبهذا البيان والتمهيد الموجز يبدو اهتمام الإسلام بكل ما يمس حياة المسلمين في كل جوانبها ، سواء أكانت فردية أم جماعية أم غيرها .

أحكام النسل

النسل من التناسل وهو التوالد وإيجاد الذرية ، وهو من الأهداف الشرعية التي راعاها الإسلام ، إذ به تستمر الحياة وبدونه ينقرض الجنس البشري وتزول الحياة . ولقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يجعل الإنسان خليفة في الأرض ، فيخلف بعض الناس بعضاً حتى تبلغ الحياة أجلها الذي كتبه الله لها .

وقد اهتم الإسلام بالنسل وجعله وسيلة مشروعة يتحقق بها الهدف المنشود . قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم : الآية ٢١] وقال تعالى : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ ﴾ [النساء : الآية ٣] كما رغّب رسول الله (ﷺ) في الزواج فقال : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج " . ونهى عن التبتل والعزوبة وعدَّ ذلك فارقاً بين المسلمين ورهبان النصارى ، والزواج هو سنة رسول الله (ﷺ) والنبيين من قبله .

ولم يقف الأمر عند مشروعية الزواج فقط بل اهتم الإسلام بما ينتج عنه من ذرية ودعا إلى العناية بالأم الحامل ورعايتها حفاظاً على صحة الجنين وحذر من كل ما يؤدي إلى إسقاط الجنين فأوجب على المرأة رعاية نفسها وكلف الزوج برعايتها وتغذيتها ، كما أبيح لها أن تفطر في رمضان عندما تتأكد من حملها إذا خافت على نفسها أو جنينها. ومن أوضح الاعتناء بالنسل اهتمام الشريعة بالمرأة المطلقة حتى تضع حملها . قال تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ

حَمۡلَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ٦] . وإذا تعذر قيام الأم بالإرضاع لزم استئجار من ترضعه .

وفي الشريعة أحكام كثيرة خاصة بفقه الصغار وتربيتهم وتجنيبهم المهالك ، فالصغار أمانة في عنق الكبار ولذا جعل لهم حق الحضانة وحسن القوامة .

وهناك تشريعات شرعت لرعاية الطفل وحمايته مما يؤدي إلى القضاء على التناسل بصفة عامة ومنها قتل الأولاد خشية الفقر ووأد البنات خشية العار والإجهاض.

ومما يدل على اهتمام الإسلام بالنسل ما حكاه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم من أن حب النسل والسعي لإنجابه كان طلباً من أرفع الناس وأعلاهم مقاماً عند الله وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فها هو سيدنا إبراهيم عليه السلام يتوجه إلى الله بقلب سليم قائلاً : ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ ﴾ [الصافات : ١٠٠] فيجيب الله دعاءه ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ١٠١ ﴾ [الصافات : ١٠١] وهاهو زكريا عليه السلام يطلب من ربه الولد قائلاً: ﴿ فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦) [مريم : ٥ ، ٦] ، وقائلاً : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ ﴾ [آل عمران : ٣٨] ويستجيب الله دعاءه ويخبرنا فيقول : ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ [مريم : ٧] ، ويقول : ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ

يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

الأبناء زينة الحياة الدنيا :

وإذا استبان لنا في حكم وجود النسل أنَّه ضرورة لحياة البشر واستمرارها ، فإن الأبناء بالإضافة لهذا هم زينة الحياة الدنيا وبهجتها وجمالها وقوتها ودفعها ، ولهذا أذن الله للمسلمين أن يستمتعوا بها كما يستمتعون بجميع الطيبات المشروعة . قال تعالى : ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا... ﴾ [الكهف : ٤٦] . وإذا كان الأمر كذلك وهو من الأشياء المشاهدة المعلومة لكل الناس مع تعلق البشر بهما لفطرة الله التي خلقهم عليها – فإن تشريعات الإسلام تؤكد أن هذا الدين يتعامل مع البشر بواقعية وانسجام مع الفطرة المستقيمة ، فهو يأذن بالمتاع في حدود الطيبات ويعطي الأشياء ما تستحق إلا أنَّه لا يعتبر ذلك قيمة توزن بها أقدار الناس إذ أنَّ القيم الأساسية التي يعتبرها الدين هي القيم الباقية التي تتجاوز الزينة الدنيوية فستظل باقية عند الله سبحانه، ولذلك قال ﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف : ٤٦] . ولا يمنع هذا أن تكون الزينة المشروعة سواء أكانت مالاً أم بنين أم غيرها من الباقيات الصالحات التي تكون زينة الحياة الدنيا ورصيداً وقيمة وأملاً يجده الإنسان عند ربه يوم لقائه .

لأهمية النسل خصَّه كثير من علماء الأصول ببحث خاص وجعلوه مقصداً من مقاصد الشريعة التي لا تستقيم الحياة بدونها بل يعيش الناس في هرج واضطراب ولا يستقيم أمرهم ومثلهم في ذلك مثل الدين والنفس والعقل والمال .

كما أن الله سبحانه وتعالى جعل النسل والذرية من سنن المرسلين إذ جعل لكل نبي أزواجاً وذرية ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ

أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴾ [الرعد : ٣٨] .

وقال رسول الله (ﷺ) : " النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني " . ولقد أراد الصحابي الجليل عثمان بن مظعون التبتل والانقطاع للعبادة والبعد عن الزواج فرده رسول الله (ﷺ) عن ذلك ، وقال (ﷺ) : " **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحْصَن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجَاء** " – أي كسر للشهوة – والنسل ضروري لتعمير الحياة الإنسانية ، ولذا قال تعالى : ﴿ ... وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا... ﴾ [هود : ٦١] . وقد حرم الإسلام كل ما يؤدي إلى فقدانه كقتل الأطفال ووأد البنات وشدد في العقوبة على من ضرب إنساناً فأفقده قوة التناسل . كما شرعت أحكام كثيرة لحفظ النسل قبل الولادة وبعدها ، فمنع ضرب الحامل حتى تلقي ما في بطنها وحذر من إجهادها إذا كان ذلك يتسبب في إسقاط الجنين ولا يصح للأم المرضع إرضاع طفل غيرها وترك طفلها إذا كان ذلك مؤثراً على صحته ، بل إن الشريعة شرعت ما يدعو للدوام والمعاشرة المستقرة فأمرت الزوجين بحسن المعاشرة بالمعروف .

وقد حفلت السنة الشريفة بالوصايا التي تحض الزوج للتمسك بزوجته والزوجة على حسن تبعل زوجها وسمت به إلى درجة تعادل الجهاد في سبيل الله بالنسبة لها .

دعوة الإسلام إلى التكاثر :

شرع الله سبحانه الزواج فقال : ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ ... ﴾ [النساء : ٣] وقال : ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢ ﴾ [النور : ٣٢] .

وورد أنَّ جماعة من أصحاب النبي (ﷺ) قال بعضهم لبعض : لا أتزوج ، وقال بعضهم أصلي ولا أنام ، وقال بعضهم : أصوم ولا أفطر ، فبلغ خبرهم النبي (ﷺ) فقال : " ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " .

وقد وردت أحاديث تدعو للتكاثر في الأمة الإسلامية لتحقيق أهداف سامية منها :

١) الاستجابة للفطرة التي تحقق الأبوة والأمومة بإيجاد النسل .
٢) عمارة الأرض وحسن استغلال الموارد .
٣) زيادة عدد المسلمين وتمكينهم من نشر دينهم .

ومن الأسباب التي تدعو للزواج :

١) حاجة كل من الزوجين لصاحبه لقضاء وطره على الفطرة الإنسانية .
٢) تنظيم العلاقة بين الزوجين على أساس التبادل في الحقوق والتعاون المستمر في دائرة الاحترام والتقدير والمودة والمحبة .
٣) تعاون الزوجين على تربية الذرية أو النسل والمحافظة على حياته .
٤) الإبقاء على النوع الإنساني بالتناسل الناتج عن النكاح الشرعي .

ويتضح من هذا أنَّ الإسلام ينشد الكثرة لذاتها ، ولذلك قال (ﷺ) : " تزوجوا الودود الولود فإنِّي مكاثر بكم الأمم يوم القيامة " .

موانع الحمل ، الإجهاض ، وتنظيم النسل وتحديده :

إن موانع الحمل هي الأشياء التي تحول دون حمل المرأة ، وهي كثيرة منها ما يستعمل لمنع الحمل نهائياً ، ومنها ما يستعمل لفترة محدودة ، وقد يكون المنع بسبب عملية جراحية ، أو وضع حواجز ، أو باستعمال عقاقير طبية أو العزل ، وأخطر أنواع الموانع المستعملة هي الموانع التي تؤدي إلى العقم بجعل الإنسان غير صالح للإنجاب سواء أكان ذكراً أو أنثى بصفة دائمة ، وذلك حرام ومحظور شرعاً لما فيه من تعطيل النسل وقطع للذرية . قال الشيخ أحمد الشرباصي : " يرى جمهور المسلمين أنَّه حرام وممنوع شرعاً إذا لم تكون هناك ضرورة تدعو إليه وذلك لما فيه من تعطيل

النسل وقطع للذرية " ولهذا نُهي عن خصاء الذكور واستئصال أرحام النساء والأعضاء التناسلية لأنَّه لا يتفق مع الفطرة الإنسانية السليمة .

هذا وقد ظهرت حملات تدعو إلى الاعتداء على الجنين بعد وقبل تكوينه منها الإجهاض ومنع الحمل وتنظيمه وتحديده . وسنتناول هذه الأشياء ببيان يناسبها :

١) الإجهاض :

المراد بالإجهاض إسقاط الجنين قبل اكتمال خلقه ، وهذا من الأشياء التي حرمها الإسلام وعدهـــا من الجرائم التي تستوجب العقوبة . فقد روي أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار الناس في إملاص المرأة " أي إسقـــاط الجنين من بطن أمه " فقـــال المغيرة بن شعبة : شهدت النبي (ﷺ) قضى فيه بغُرة (بضم الغين) سواءً كان عبداً أو أمة " والغرة نصف عشر دية الرجل الكامل وهي تعادل خمساً من الإبل " فقال عمر : " ائتني بمن يشهد معك ، قال : فشهد له محمد بن مسلمة " . (متفق عليه) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " اقتتلت امرأتان من هذيل فرَمَت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها ، فاختصموا إلى رسول الله (ﷺ) فقضى رسول الله (ﷺ) أنَّ دية جنينها غرة عبدٌ أو وليدة وقضى بدية المرأة على قاتلتها وورثها أهلها " .

٢) التنظيم :

هو تباعد فترات الولادة محافظة على صحة الأم والأبناء ، والشريعة الإسلامية حريصة على صحة الأم والأبناء معاً بما يحقق المصلحة ولا يتعارض مع المقاصد الشرعية بجلب المصلحة ودرء المفسدة ، ولذا ورد في القرآن الكريم تحديد لفترة الحمل والرضاعة صيانة للأم والأبناء فقال تعالى : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] وقال تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ...)

[البقرة : ٢٣٣] وعليه يجوز تحديد فترة التنظيم حسب ما شرع الله ولا ينبغي تجاوزها إلا لأمر تقتضيه الضرورة وحسب قرار الطبيب المؤمن الموثوق برأيه .

٣) **تحديد النسل** :

تحديد النسل يعني تحديد عدد معين " اثنين أو ثلاث فقط " وقد زعم الداعون له أنَّ الإكثار من النسل ضار بصحة الأم والطفل ويؤدي إلى الضائقات الاقتصادية والاجتماعية على الأفراد والمجتمعات ، وزعموا أنَّ هذا ضرر وغير ذلك من دعاوى والشريعة تزيل الضرر وأنَّ التيسير ورفع الحرج من الإسلام .

فالقول بأنَّ كثرة النسل يضر بصحة الأم غير صحيح ؛ لأنَّ ذلك يكون بالتنظيم الذي أشارت إليه آيات الحمل والرضاعة التي سبق ذكرها . أمَّا تحديد النسل فإنَّه لا يجوز لما فيه من مخالفة التوجيهات الإسلامية ، ولأنَّ الضرر الناتج عن استعمال الموانع الدائمة أشد وأكثر من الضرر الناتج عن الإنجاب ، وهناك آثار سلبية تبدو لاستخدامها لفترات طويلة . وما يقال من أنَّ كثرة الإنجاب تؤدي إلى الضائقات فهو قول غير صحيح فإن القوى البشرية من أهم مقومات الإنتاج ، ولأنَّ الرازق هو الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] .

فتحديد النسل يتنافى مع دعوة الإسلام للتناسل والترغيب في الذرية والتكاثر وحفظ النوع الإنساني من الأخطار الناتجة عن تحديد النسل .

تدريب :

١. لماذا اهتم الإسلام بالنسل ؟
٢. ما الدليل على اهتمام الإسلام بالنسل ؟
٣. أذكر الأسباب التي تدعو للزواج ؟
٤. ما الفرق بين تنظيم النسل وتحديده ؟
٥. أذكر موانع الحمل وموقف الشرع الإسلامي من كل مانع ؟
٦. ناقش هذه العبارة : يدعو الإسلام للتكاثر .

الأيمان

الأيْمان (بفتح الهمزة وسكون الياء) هي الحلف بذات الله أو أسمائه أو صفاته أو كتابه أو آياته ، كالحلف بعزة الله وكبريائه أو الحلف بالمصحف الشريف . مثال : والله لأفعلن كذا أو والذي نفسي بيده لأتصدقنّ بكذا – وتصح من مكلف مختار قاصد اليمين. والأيمان منها ما هو جائز ومنها ما هو ممنوع .

فمن الجائز الحلف بأسماء الله سبحانه أو صفاته ، إذ كان رسول الله يحلف فيقول : " والذي نفسي بيده " .

والأيْمان غير الجائز الحلف بغير الله أو أسمائه أو صفاته .

النهي عن الحلف بغير الله :

ومن الأيْمان غير الجائزة الحلف بغير أسماء الله تعالى وصفاته مثل الحلف بالكعبة المشرفة والنبي (ﷺ) والصالحين من العباد والطلاق والشرف وغير ذلك ، فقد نهى (ﷺ) عن الحلف بها فقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ النبي (ﷺ) أدركه وهو يحلف بأبيه فقال : " إنَّ الله نهاكم أنْ تحلفوا بآبائكم ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت " (متفق عليه) . وقال: " لا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون " (متفق عليه) .

أقسام اليمين وحكمها :

أقسام اليمين ثلاثة حسب قصدها أو جريانها على لسان المكلف .

الأولى : اليمين الغموس : وهي حلف الإنسان بالله متعمداً الكذب كأن يقول : والله لقد اشتريت ساعة بمائة دينار وهو لم يشترها ، أو يقول والله لقد قرأت عشرين كتاباً وهو لم يقرأها . وهي من الكبائر : قال رسول الله (ﷺ) : " من الكبائر الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس " (رواه البخاري) .

وسميت هذه اليمين بالغموس لأنها تغمس صاحبها في الإثم وقيل في النار .

▪ **حكم اليمين الغموس :**

ولما كانت هذه اليمين عظيمة الذنب خاصة إذا كانت وسيلة لأخذ مال امرئ بغير حق فإنَّ الواجب فيها هو التوبة والاستغفار ولا تجزي فيها الكفارة .

الثانية : لغو اليمين : وهي الألفاظ الجارية على لسان المسلم من الحلف بغير قصد مثل من يكثرون من الكلام فيقولون : لا والله ، وبلى والله . قالت السيدة عائشة " اللغو في اليمين كلام الرجل في بيته لا والله " .

وقال أكثر أهل العلم إنَّ من لغو اليمين " حلف المرء على شي يظنه – كما حلف – فلم يكن كذلك " .

▪ **حكم اليمين اللغو :**

حكم هذه اليمين أنَّها لا إثم فيها ولا كفارة إذ هي مما يجري على اللسان ولا تعمد فيها وهي مما عفا الله عن المؤاخذة فيه بقوله تعالى : ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[البقرة : ٢٢٥] .

الثالثة : اليمين المنعقدة : وهي ما يقصد عقدها على أمر في المستقبل سواء كان إثباتاً أو نفياً مثل قوله : والله لأشيدنَّ مدرسة ، أو والله لا أعاهد ظالماً . فهذه اليمين يؤخذ بها الحالف لقول الله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ ﴾ [المائدة : ٨٩] .

▪ **حكم اليمين المنعقدة :**

من برَّ بقسمه ويمينه فقد سقط عنه الإثم وزال ، ومن حنث فيها " أي لم يبر بقسمه " أثم وعليه كفارة .

▪ من حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها :

قال رسول الله (ﷺ) : " من حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه " . وقال : " إنِّي والله إن شـــاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني " أخرجه البخاري .

كفارة اليمين :

الكفارة في اليمين أربعة أشياء :

١) إطعام عشرة مساكين بإعطائهم مداً لكل مسكين (مقدار رطل "١٢" أوقية بالوزن بالسودان) ، أو جمعهم على طعام في غداء أو عشاء يأكلون حتى يشبعوا .
٢) كسوتهم ثوباً يجزئ في الصلاة حسب ما يجزئ للذكر والأنثى .
٣) تحرير رقبة مؤمنة .
٤) صيام ثلاثة أيام .

ملاحظة : لا ينتقل إلى الصوم إلا بعد العجز عن الإطعام أو الكسوة أو العتق لقوله تعالى : ﴿ ... فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيۡمَـٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَـٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٨٩] .

تدريب :

١. بماذا ينعقد الأيمان ؟
٢. ما أقسام اليمين ؟
٣. أذكر كفارة الإيمان المنعقدة .

النذور

النذور – جمع ، مفرده نذر – وهو إلزام المسلم نفسه قربة غير لازمة في أصل الشرع بصيغة تفيد ذلك كأن يقول لله عليّ أن أتصدق بمبلغ مائة ألف جنيه ، أو إن تفوق ابني فعليّ صيام ثلاثة أيام .
ولا يصح إلا من مكلف " بالغ عاقل " مختار .
وهو عبادة قديمة عرفت لدى بني اسرائيل حين قصّ الله تعالى أنَّ أم مريم العذراء نذرت ما في بطنها فقال : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران : ٣٥] .

مشروعية النذر في الإسلام :
شرع النذر بالكتاب والسنة فقد قال تعالى : (**وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإنَّ الله يعلمه**) وقال : (**يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً**) . ويكون النذر صحيحاً إن قصد به التقرب لله تعالى مع انعقاده ، ولا يصح ولا ينعقد إن كان فيه معصية لله تعالى .

ولا يكون النذر إلا في طاعة . عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي (ﷺ) قال : " من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه " رواه الجماعة .

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي (ﷺ) قال : لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين " رواه الجماعة .

حكم النذر :
الإباحة : يباح النذر المطلق الذي يقصد به وجه الله سبحانه وتعالى كمن نذر صوماً أو صلاة أو صدقة ، وهذا النوع يجب الوفاء به .

أنواع النذر :
أ) النذر المطلق المُعيّن : وهو ما خرج مخرج الخبر مثل قول المسلم : لله عليّ صيام ثلاثة أيـــام أو نحوها تقرباً إلى الله ، وهذا النوع واجب الوفـــاء لأنَّه

عهد يجب الوفاء به ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل : ٩١] .

ب) النذر المطلق غير المعيَّن كمن يقول : لله عليّ نذر ولكنه لم يذكر اسمه. وحكمه أنَّه يجب في الوفاء به كفارة يمين لقول الرسول (ﷺ) : " **كفارة النذر إذا لم يسمه كفارة يمين** " .

ج) نذر اللجاج: مثل أن يقول : أصوم شهراً إن شيدت داري – وحكمه التخيير بين الوفاء وكفارة اليمين إذا حنث فيما علق النذر عليه لقول النبي (ﷺ) : " لا نذر في غضب وكفارته كفارة يمين " .

- ومن مات وعليه نذر قضى عنه وليه . فعن ابن عباس رضي الله عنه أنَّ سعد بن عبادة استفتى رسول الله (ﷺ) فقال : " **إنَّ أمي ماتت وعليها نذر لم تقضه** " . فقال رسول الله (ﷺ) **أقضه عنها** " رواه أبو داؤد .
- ومن نذر نذراً لم يسمه ولا يطيقه فكفارته كفارة يمين . فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : " من نذر نذراً لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً لم يطقه فكفارته كفارة يمين " رواه أبو داؤد وابن ماجة وزاد : " ومن نذر نذراً أطاقه فليف به " .
- ومن نذر أن يتصدق بماله أجزأه الثلث . عن الحسين بن السائب بن أبي لبابة أنَّ أبا لبابة بن عبد المنذر لما تاب الله عليه قال : يا رسول الله إنَّ من توبتي أنْ أهجر دار قومي وأساكنك وأنْ أنخلع من مالي صدقة لله عز وجل ولرسوله . فقال رسول الله (ﷺ) " يجزي عنك الثلث " رواه أحمد .

تدريب :

١. ما الدليل على مشروعية النذر ؟
٢. ما حكم النذر ؟
٣. اذكر أنواع النذر .
٤. ناقش هاتين العبارتين :

* لا نذر في معصية .
* نذر شخص أنْ يتصدق بكل ماله .

الوقف

الوقف لغة : الحبس .
وشرعاً : حبس الملك في سبيل الله تعالى يصرف من عائده ويبقى أصله على شرط الواقف – (يتصرف بعائده ويحفظ أصله لا يباع ولا يُورث) .

حكم الوقف :
الوقف من المندوبات التي رغبت فيها الشريعة الإسلامية . عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله (ﷺ) قال : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " (رواه مسلم) . والمقصود بالصدقة الجارية الوقف .

وقال رسول الله (ﷺ) : " **إنَّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علماً علمه ونشره وولداً صالحاً تركهو مصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن سبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته** " [أخرجه ابن ماجة].

وقد كان رسول الله (ﷺ) وصحابته الكرام أسوة يقتدى بهم في ذلك ، فقد وقف أصحابه المساجد والأرض والآبار والحدائق والخيول ، وقد اقتفى أثرهم من بعدهم منذ عهد الصحابة حتى عصرنا الحاضر وستظل الأوقاف الإسلامية منارات قامت عليها المؤسسات سواء أكانت مؤسسات علمية أو اجتماعية أو صحية . ولعله لا يخلو إقليم من بلاد الإسلام من ذلك مما يعني اهتمـــام المسلمين بها وتعظيم دورها ، وفي بلاد السودان كثير من الأوقاف التي تشهد بها مناطق عديدة وتشرف عليها وزارة كاملة لتنميتها والاستفادة منها .

أنواع الوقف :
أ. **الوقف الأهلي أو الذري :** وهو ما يكون على الأحفاد والأقارب .
ب. **الوقف الخيري :** وهو ما يكون على أبواب الخير المختلفة وعلى الفقراء من غير الأهل .

أمثلة للوقف :

١) عند قدوم رسول الله (ﷺ) المدينة المنورة وأمْرِهِ ببناء المسجد ، قال لبني النجار : " يا بني النجار : ثامنوني بحائطكم هذا ". فقالوا : والله لا نطلب ثمنه إلا من الله تعالى " . فأخذه رسول الله (ﷺ) وبناه مسجداً .

٢) وعن سعد بن عبادة – رضي الله عنه – أنَّه قال يا رسول الله : إنَّ أم سعد ماتت فأي الصدقة أفضل ؟ قال : الماء ، فحفر بئراً وقال هذه لأم سعد . وعن عثمان بن عفان – رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله (ﷺ) قال : " من حفر بئر رومة فله الجنة " ، قال : " فحفرتها " .

شروط الواقف :

يشترط في الواقف تحقق الشروط الآتية :

١) **التكليف** : أن يكون مكلفاً " أي عاقلاً بالغاً " . فلا يكون الوقف من مجنون ولا صبي لعدم تكليفهما حيث رفع القلم عن المجنون حتى يعقل وعن الصبي حتى يبلغ.

٢) **الإسلام** : وهو شرط صحة لجميع العبادات .

٣) **الاختيار** : فلا يقع الوقف على من أكره لفقده الإرادة والحرية ، إذ لا يلزم المسلم ما استكره عليه .

٤) **الملك** : أن يكون الموقوف مملوكاً للواقف فلا يجوز وقف ما لا يملك .

شروط الموقوف :

ويشترط في الموقوف أن يكون مما يصح الانتفاع به شرعاً كالعقار ونحوه ولا يصح بما لا يصح الانتفاع به شرعاً كالخمر وكل صنوف النجاسات .

انعقاد الوقف ولزومه وما يترتب عليه :

ينعقد الوقف ويلزم بالآتي :

١) يلزم بفعل الواقف مثل بنائه مسجداً وإشهار الأذان فيه .

٢) ويلزم أيضا بقول الواقف وهو نوعان :

الأول : القول الصريح الذي صرح فيه بالوقف ومثاله وقفت هذا العقار أو حبَّسته لمصلحة المسلمين أو الفقراء أو لآل فلان .

الثاني : الكناية ، ومثاله قول الواقف هذا المستوصف لا أطلب ثمنه إلا من الله .

ويلاحظ أنَّه إذا تم الوقف لم يجز بيعه ولا هبته ولا التصرف فيه بما يزيل وقفه .

أثر الوقف في الحضارة الإسلامية :

للوقف أثر واضح في الحضارة الإسلامية حيث قامت مؤسسات عظيمة عادت على المجتمع الإسلامي وغيره بالنفع العميم وهي كثيرة متعددة ومتنوعة ، وحسبنا أن نذكر بعضها . ومنها :

١) المساجد التي تطالع الإنسان في ديار الإسلام كما في السودان والمملكة العربية السعودية وأرض الشام وغيرها من بلدان العالم الإسلامي .

٢) أماكن دور العلم وتعليم القرآن كالجامعات التي يفخر بها العالم الإسلامي كجامعة الزيتونة في تونس ، والمسجد الأموي في دمشق ، والأزهر في مصر وجامعة أم درمان الإسلامية في السودان .

٣) المستشفيات التي أعدت لعلاج المرضى وهي منتشرة في بلاد الإسلام ومنها مركز عبد المنعم محمد في أم درمان ، ومستشفى السلمابي في بري .

٤) الآبار العظيمة التي يستقي منها الناس الماء كآبار علي في المملكة العربية السعودية .

فهذه الأوقاف المبثوثة في أرض المسلمين شاهدة على إقامة الحضارة الإسلامية وقد أسست لها وزارات كاملة حتى تؤدي دورها الكامل في مجتمع المسلمين وتحقق لهم منافع جمة كما في السودان حيث شيدت وزارة للأوقاف تهتم بأمرها وتطورها .

تدريب :

١. عرِّف الوقف في اللغة والشرع .
٢. ما حكم الوقف ؟
٣. ما شروط الوقف ؟
٤. متى ينعقد الوقف ؟
٥. ناقش هذه العبارة : للوقف آثار واضحة في الحضارة الإسلامية .

الدَّين

معنى الدَّين :

هو دفع مال من شخص لآخر لينتفع به ليرد إليه مثله عند قدرته ؛ ويسمى دافع المال دائناً والمدفوع إليه مديناً ، كما يسمى الأول مقرضاً والثاني مقترضاً والدين قرضاً .

مشروعية الدين :

يعتبر الدَّين من القربات التي يتقرب بها لله سبحانه وتعالى ، لأنَّ فيه رحمة بالناس وتيسيراً لأمورهم ورفقة بهم ، وقد حبب الإسلام فيه وأباحه للمسلمين للانتفاع به في قضاء الحوائج ثم رد المثل للدائن . وقد وردت أحاديث كثيرة تحث عليه ومن ذلك قول رسول الله (ﷺ) : " رأيت ليلة أسريّ بي على باب الجنة مكتوباً : الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر " ، فقلت : " يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟ قال : لأنَّ السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة " .

وقال (ﷺ) : من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه " رواه مسلم .

حكم الدين :

الإباحة : قال (ﷺ) : " من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا ....الخ " .

وقد استنبط من النص أنَّ الدين مستحب للدائن وفيه أجر عظيم . يفهم من الحديث السابق : " رأيت ليلة أسري بي " أن الدين أفضل من الصدقة بدرجة قاربت الضعف .

أما بالنسبة للمدين فهو شئ مباح ولا حرج فيه وقد فعله رسول الله (ﷺ) . فقد ثبت أنَّه استدان بكراً من الإبل وقال (ﷺ) " إنَّ من خير الناس أحسنهم قضاءً ". رواه الخمسة إلا البخاري .

شروط الدين :

للدين ثلاثة شروط :

١) أن يكون قدر الدين معروفاً سواء أكان معدوداً أو مكيلاً أو موزوناً أو حيواناً .
٢) أن يعلم وصفه وسنه إن كان حيواناً .
٣) أن يكون الدَّين من رشيد ومما يجوز التبرع به ، فلا يصح من غير الراشد كالسفيه والصبي ، كما لا يصح أن يكون من إنسان لا يملك ، إذ لا يحق له التصرف في ملك الغير .

أحكام الدَّين :

١) يكون ملك الدين بالقبض من الدائن للمدين ، فمتى قبضه المدين ملكه وانشغلت به ذمته .
٢) يجوز تحديد أجل للدين ولكن يستحسن أن يكون بدون أجل ، لأنَّ فيه تسهيلاً وتيسيراً ورفقة بالمدين .
٣) يجوز وفاء الدين في أي مكان إن خلا من المؤونة (الكلفة) فإن كانت فيه مؤونة كان وفاؤه في موضعه ولا يلزمه وفاؤه في غير الموضـــع الذي استلمه فيه .
٤) إن بقيت العين كحالها يوم قرضها ردت كما هي فإن تغيرت بنقصان أو زيادة ردَّ المدين مثلها أو دفع قيمتها .
٥) لا يجوز اشتراط النفع في الدين سواء أكان النفع بالزيادة فيما استدان أو بتجويده أو بنفع آخر لا صلة له بالدين ، أما إن كان من باب الإحسان من المدين دون اشتراط واتفاق فإنه جائز لفعل رسول الله (ﷺ) الذي أعطى جمالاً خياراً ، في بكر صغير، وقال : " إنَّ من خير الناس أحسنهم قضاء ". (أخرجه الجماعة إلا البخاري) .

الأشياء التي يكون فيها الدين :

يكون الدين في الثياب والحيوان وفي المكيلات والموزونات والمعدودات وعروض التجارة . فقد استلف رسول الله (ﷺ) بكراً " وهو الثني من الإبل " روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت : " قلت يا رسول الله إنَّ الجيران

يستقرضون الخبز والخمير ويردون زيادة ونقصاناً ، فقال : لا بأس إنَّما ذلك من مرافق الناس لا يراد به الفضل " أي الربا والزيادة .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه في إجابة له عن سؤال عن اقتراض الخبز والخمير فقال : " سبحان الله ، إنَّما هذا من مكارم الأخلاق فخذ الكبير وأعط الصغير وخذ الصغير وأعط الكبير خيركم أحسنكم قضاء . سمعت رسول الله (ﷺ) يقول ذلك ".

التعجيل بقضاء الدين قبل الموت :

إنَّ المبادرة إلى إخلاء النفس من التزامها من الأشياء المطلوبة شرعاً ولذلك كان التعجيل بقضاء الدين مما طلبته الشريعة الإسلامية وحذرت المماطلة ، فقد روي أنَّ رجلاً سأل رسول الله (ﷺ) عن أخيه مات وعليه دين ، فقال : " هو محبوس بدينه فاقض عنه " ، وفي الحديث الشريف " من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله " .

إنظار المعسر :

بما أنَّ الشريعة الإسلامية شرعت الدين رفقة وتيسيراً وعطفاً على ذوي الحاجات فقد حبَّبَتْ في إنظار المعسر وإمهاله حتى يتيسر أمره وحبذا لو تصدق الدائن على المدين قال الله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨٠] . كما حثت الأحاديث الشريفة على الإمهال أو التصدق بالدين عليه ، فعن كعب بن عمر قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : " من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله " .

وعن أبي قتادة أنَّه طلب غريماً له فتوارى ثم وجده ، فقال : إنِّي معسر ، فقال: آلله ؟ قال : فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : " من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه " .

ولاهتمام الشريعة بالدين فقد أرشد الله تعالى المسلمين في الديون المؤجلة بالكتابة والإشهاد ، ولأنَّ ذلك فيه حفظاً لمقدارها وميقاتها وضبطاً حيث يقول في أطول

آيــة في القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ وقال أيضاً : ﴿ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] . هذا وقد رعى الإسلام الحقوق الفردية ، فإنَّ الشأن في الأمور العامة يستلزم العناية والرعاية ، إذ المسؤولية فيه خطيرة ، وهو مال الأمة كلها فلا يجوز التلاعب فيه . ومن الضروري قفل كل الثغرات ومنع كل الوسائل المؤدية إلى عدم حفظ الأموال ، ولا بد من وضع القوانين التي تحمي أموال المواطنين لئلا يؤدي ذلك إلى التساهل فيها وضعف الأمة وانتشار الفقر والحاجة والعوذ فيها .

تدريب :

١. ما الدليل على مشروعية الدين ؟
٢. ما حكم الدين ؟
٣. ما شروط الدين ؟
٤. ناقش هذه العبارة : يدعو الإسلام لإنظار المعسر .

الأمة الإسلامية وخصائصها

الربانية

الإنسانية

الشمول

الوسطية

الثبات والمرونة

معنى الأمة ونشأتها

نشأ مصطلح الأمة مع مجئ الرسالة الإسلامية التي بُعث بها محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

وعرَّف الراغب الأمة بأنها : (**كل جماعة يجمعها أمر ما ، إمَّا دين واحد، أو زمان ، أو مكان واحد ، سواء أكان ذلك الجمع تسخيراً أو اختياراً ، وجمعها أمم**) .

وفي القرآن الكريم نجد أنَّ لفظ الأمة تكرر عدة مرات ليدل على معان ، منها :

- الطريقة والمذهب نحو ما جاء في قوله تعالى : ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٢] .
- الرجل الجامع للخير نحو ما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠] .
- وجماعة من الناس كانوا على دين ، نحو ما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [يونس : ١٩] .
- وبمعنى الجماعة من الناس خاضعة لرب العـــالمين نحو ما في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٨] .

- كما جاءت بمعنى الدين في قوله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

ولذا اعتبرت كل جماعة نسبت إلى نبي وأضيفت إليه بأنها أمة ، مثل أمة محمد ، الأمر الذي جعل للدين دوراً أساسياً ودوراً مؤثراً في تكوين الأمة وتميزها.

ومن خلال هذه التعريفات يمكن أن نصل لتعريف للأمة هو : " الأمة ؛ هي مجموعة من الناس تحمل رسالة فكرية معينة تساعد على بقاء الإنسانية ورقيها ، وتعيش حياتها ونظمها طبقاً لمبادئ هذه الرسالة " .

نشأة الأمة الإسلامية :

كانت رسالة نبي الله إبراهيم عليه السلام ، هي البداية الأولى لنشأة الأمة الإسلامية ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام بقوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠].

وتعرض إبراهيم عليه السلام لابتلاءات عديدة كشفت عن قدراته ومدى استعداده للتخلي عن روابط الأسرة والدم والوطن ، والتضحية بنفسه وولده وأسرته ، وتحمل كل أنواع المشاق في محاربة العقائد المخالفة للتوحيد ، مما جعله مؤهلاً لحمل مهام قيام هذه الأمة . قال الله تعالى :﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

وقام إبراهيم عليه السلام باختيار موطن هذه الأمة ، الذي يقع وسط العالم ، حيث التقت طرق المواصلات ، وتلاحقت الحضارات .

وانقسمت أسرة إبراهيم عليه السلام إلى قسمين ، إحداهما بمكة حيث قامت بإنشاء المسجد الحرام والأخرى بالشام حيث بني المسجد الأقصى . وقامت كل أسرة بالإعداد لقيام هذه الأمة ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] .

وتمت الانطلاقة الكبرى لإتمام هذه المهمة ، ببعثة الرسول (ﷺ) ، الذي يمثل الفرع الثاني من أسرة إبراهيم عليه السلام .

تصحيح إنحراف الدعوة الإبراهيمية :

صححت الرسالة المحمدية الانحراف الذي لحق برسالة إبراهيم عليه السلام ، فطهرتها من مظاهر الشرك ، وخلصتها من حمية العصبية القبلية والجاهلية الوثنية . وقد اتخذت الدعوة المحمدية خطوات عملية لتصحيح دعوة إبراهيم عليه السلام . فكسرت الأصنام ، وحاربت كل مظاهر الشرك ، وجعلت الصلاة إلى أول بيت بناه إبراهيم عليه السلام . ثم كان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لإعادة الربط بين رسالة المسجدين .

أسس بناء الأمة الإسلامية :

قام الرسول (ﷺ) بوضع الأسس الصحيحة التي تقوم عليها الأمة الإسلامية ، فقام ببناء مؤسساتها وأعرافها السياسية والاجتماعية والتشريعية ، ونظم نشاطها الاقتصادي كما نظم علاقتها مع غيرها من الجماعات البشرية في الخارج .

وربى الرسول (ﷺ) أصحابه الذين قاموا بحمل عبء هذه الدعوة ونشرها في أرجاء المعمورة مكونين على مبادئها الأمة الإسلامية التي تتخذ من الإسلام ديناً ، ومن أصوله دعائم لحضارتها وحياتها ، مما جعلها تتصف بخصائص كثيرة ، ميزتها على غيرها من الأمم السابقة واللاحقة .

التقويم :

١. وضح معنى الأمة في الآيات التالية :

أ. ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ .

ب. ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ .

ج. ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾

٢. ما الانحراف الذي صححته الرسالة المحمدية ؟

٣. ما الأسس الإسلامية لبناء الأمة ؟

خصائص الأمة الإسلامية

تتعدد خصائص الأمة الإسلامية وتتنوع ، منها :

الربانية :

تلتقي عند خاصية الربانية التي تنبثق منها ، وترجع إليها جميع الخصائص. وتتجلى الربانية في غاية الأمة وتوجهها وفي ربانية المصدر والمنهج . فغايتها وتوجهها وهدفها الذي تسعى إليه هو تحقيق حسن الصلة بالله تعالى والحصول على مرضاته . وهذه الغاية هي غاية كل فرد من أفرادها ومُنتهى أمله وسعيه في الحياة الدنيا . قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم : ٤٢] .

ومن ثمرات هذه الربانية :

١. معرفة الغاية من خلق الإنسان فالإنسان لم يخلق عبثاً ، وإنما له رسالة يعيش ويحيا من أجلها فهو لا يعيش في عمى ولا يسير بغير هدف بل يسير على هدى الله تعالى إلى طريق مستقيم .
٢. الاهتداء إلى الفطرة وهي فطرة الله تعالى التي فطر عليها الناس وهي الإيمان بالله تعالى حيث تجد منه النفس الإنسانية سكينتها وطمأنينتها .
٣. حماية النفس من التمزق ، حيث تتجه النفس إلى غاية واحدة وهدف واحد ، وهم واحد ، وهو إرضاء الله .
٤. التحرر من العبودية .

ولتحقيق هذه الغاية تسعى الأمة الإسلامية لجعل كل فرد من أفرادها عبداً لله سبحانه وتعالى لا لأحد سواه ، ولهذا نجد أن جوهر حياتها هو التوحيد .

وتتجلى الربانية في المصدر والمنهج الذي يقوم بتنظيم حياة الجماعة الإسلامية ، فهو منهج رباني مصدره الوحي ، وفيه الهدى والنور ، والشفاء والرحمة لعباده . قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧] .

ونجد أنَّ الربانية تصبغ جميع شؤون الأمة الإسلامية بصبغتها – عقائدها وعباداتها وآدابها وأخلاقها وشرائعها .

أ) عقيدتها :

فالعقيدة مأخوذة من أمر الله الذي أمر به رسله ، وأنزله في كتابه . فالقرآن الكريم هو الذي وضع أسسها وأرسى دعائمها ، والسنة الصحيحة هي التي فصلت ما أجمل منها وأوضحت ما أبهم فيها .

ب) عباداتها :

عبادة الأمة التي يُعبد بها الله ويُتقرب بها إليه جاء بها الوحي الإلهي محدداً أشكالها وأركانها ، ومعيناً زمان ما يشترط في أدائها الزمان ، ومكان ما يشترط في أدائها المكان . وتقوم العبادة على أصلين كبيرين لا يقوم الدين بدونهما :

أحدهما : ألا يعبد إلا الله ، **وثانيهما :** ألا يعبد إلا بما شرعه .

وبهذا يتحقق معنى الشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله – أي لا معبود بحق إلا الله ، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله – أي ألا يعبد الله إلا بما شرعـــه على لسان رسوله (ﷺ)) وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن التشريع في الدين بغير ما أتى به رسول الله (ﷺ) قال الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى : ٢١] . ونهى رسول الله (ﷺ) عن الابتداع في الدين ، فعن أبي نجيح العرباض رضي الله عنه قال: " وعظنا رسول الله (ﷺ) موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، والسمع والطاعة وإنْ تأمّر عليكم عبد ، فإنَّه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنَّ كل بدعة ضلالة" رواه أبو داؤد والترمذي . ولذا لا يجوز لأحد مهما ارتفع شأنه في العلم والتقوى أنْ يبتكر من عنده صورة أو هيأة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

ج) أخلاقها وآدابها :

أخذت الأمة الإسلامية آدابها وأخلاقها من الوحي الإلهي ، فالقرآن الكريم قد دعا إلى أمهات الفضائل كالصدق ، والصبر ، والوفاء بالعهد ، والإحسان إلى الوالدين وذوي القربى ، ورعاية اليتيم ، وإكرام الضيف وابن السبيل . وحثّ على الإخلاص في العمل ودعا إلى غض البصر وحفظ الفرج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما نهى عن القتل والزنا والشرك والسحر والتولي يوم الزحف ... وغيرها من الأخلاق الإيجابية والسلبية ، الفردية منها والاجتماعية . كما نجد أنَّ السنة النبوية زخرت بآداب كثيرة تتعلق بالأكل والشرب والنوم واليقظة والقصاص وقضاء الحاجة وغيرها .

والمنظم الوحيد الذي يضبط كل هذه الأخلاق هو الوحي الإلهي . فالخير هو ما رآه الوحي خيراً ، والشر هو ما رآه الوحي شراً .

ويتوافق كل هذا مع الفطرة والعقل السليم ، وقد وصف القرآن الكريم أصحاب العقول الفاضلة بـــ (**أولي الألباب**) ، كما ختم بعض الأوامر والنواهي بقوله تعالى : (**ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون**) .

د) تشريعاتها :

إنَّ التشريعات التي تنظم حياة الجماعة الإسلاميـــة في شتى مجالات حياتها هي تنظيمات ثابتة مصدرها الوحي الإلهي المنزه عن الظلم والخطأ .

قـــال الله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١١٥] . فالمشرع الوحيد هو الله سبحانه وتعالى ، وقد دمغ بالشرك الذين أعطوا سلطة التشريع لبعض البشر ، فأحلوا وحرموا لهم من عندهم ، قال الله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] . وقد ختم القرآن كثيراً من الأحكام بلفت الأنظار إلى ربانية

مصدرها كما في قوله تعالى في ختم آية الصدقات : ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٦٠] . وليس لأحد غير الله تعالى حق التشريع إلا في حدود ما أذن الله تعالى به مما ليس فيه نص ملزم ، في حدود الاجتهاد والاستنباط المنضبط بشرع الله . والذي يقوم بهذا ليس مشرعاً وإنما هو مجتهد .

التقويم :

١. في أي شيء تتجلى الربانية ؟
٢. ما الربانية ؟
٣. الربانية تصبغ جميع شؤون الأمة الإسلامية . وضح ذلك .
٤. تقوم العبادة على أصلين كبيرين . ما هما ؟

٢) الإنسانية

من خصائص الأمة الإسلامية التي تميزها عن غيرها من الأمم الأخرى أنَّها أمة الإنسان بغض النظر عن لونه أو جنسه أو وطنه ، ونجد ذلك واضحاً في القرآن الكريم الذي جاء ليصحح ويهذب فطرة الإنسان وعقله وروحه وجسمه ، فقد تكررت فيه كلمة الإنسان وحدها بما يتجاوز الستين مرة ، ففي أول سورة نزلت تكررت كلمة الإنسان أكثر من مرة . قال الله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١-٥] .

وتتجسد إنسانية الأمة الإسلامية في رسولها الذي حرص القرآن على تأكيدها في مناسبات عديدة نحو ما جاء في قوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ

يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

ولقد كان رسول الله (ﷺ) بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فكرمه الله بالوحي وشرفه بالرسالة ، ولذا صلح أن يكون قدوة للبشر . قال الله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

الإنسان في الفقه :

وتوجه الأمة الإسلامية عناية كبيرة للجانب الإنساني ففي فقهها يأخذ الجانب الإنساني من أحوال شخصية ومعاملات وعقوبات وجنايات أكثر من ثلثي الفقه . كما أن جميع عباداتها لا تخلو من الجانب الإنساني . فالصلاة عون للإنسان في معركة الحياة تهذبه وترقيه وتسمو بروحه . وفي الصوم تربية لإرادة الإنسان ومشاعره ، وفي الزكاة تزكية وتطهير للمعطي وتحرراً للآخذ ، وفي الحج تبادل للمنافع مقروناً بذكر الله .

الإنسان في القرآن الكريم :

ونجد أنَّ القرآن الكريم أكد على كرامة الإنســـان التي تجلت في المظاهر الآتية :

- استخلافه في الأرض : جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان خليفة في الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾خَلِيفَةٗۖ [البقرة : ٣٠] .
- وخلقه في أحسن تقويم . قال الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ [التين : ٤] .

- وميزه بالعنصر الروحي قال تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٩] . وقد أعلن القرآن الكريم كرامة البشر كافة في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠].
- وسخر له الكون كله وجعله في خدمته . قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ ﴾ [لقمان : ٢٠] .

حقوق الإنسان في الإسلام :

إنَّ الأمة الإسلامية قررت حقوقاً للإنسان ينبغي أنْ ترعى ، كما قررت عليه واجبات ينبغي عليه أن يؤديها ، فكل حق يقابله واجب ، وهذه الحقوق ليست منحة من أحد من الناس (ملك أو أمير أو شريف أو كاهن) إنَّما هي منحة قررها الله له بمقتضى فطرته الإنسانية ، فهي حقوق ثابتة ، ودائمة لا يغيرها الزمان ولا المكان . ومن هذه الحقوق :

أ) **حق الحياة :** وهو حق كفله الإسلام لجميع الناس فهو هبة من الله سبحانه وتعالى فلا يجوز لأحد أن يسلبه حاكم أو سيد ، أو زوج أو والد وقد أنكر القرآن الكريم على أهل الجاهلية قتل أولادهم في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣١] .

ولم تكتف الأمة الإسلامية بحفظ حق الحياة للإنسان فقط ، بل رعت حقوق الحيوان إذا لم يكن منه أذى ، وجاء في الحديث الصحيح " إن امرأة دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض " .

ب) **حق الكرامة وحماية العرض :** تحمي الأمة الإسلامية عرض وكرامة الإنسان مع حرمة دمه وأمواله . وقد أعلن ذلك الرسول (ﷺ) في حجة الوداع بقوله: " إنَّ الله حرّم عليكم دماءكم وأعراضكم وأموالكم " (رواه الشيخان) . فلا يؤذى الإنسان في حضرته أو غيبته ولا في حياته ولا بعد موته . قال الرسول (ﷺ) " لا تذكروا موتاكم إلا بخير " (رواه ابو داؤد الطيالسي) . وقال : " كسر عظم الميت ككسره حياً " (رواه أحمد وأبوداؤد) .

ج) **حق تمام الكفاية :** تكفل الأمة الإسلامية لأفرادها حق الكفاية التامة في العيش وليس حد الكفاف ، فكفلت له حق العمل المشروع من زراعة أو صناعة أو احتراف حرفة أو مهنة ، ومن لم يكن له دخل كاف جعل على الموسرين من أقاربه . قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ [الأنفال : ٧٥] . ومن لم يكن له أقارب موسرون يساعدونه وجبت كفايته من مال الزكاة . وقد ذكر العلماء أن كتب العلم وآلات الحرفة والزواج لمن لا زوجة له من تمام الكفاية .

وأوجب بعض الفقهاء كفاية العمر للفقير بحيث لا يحتاج إلى زكاة مرة أخرى ، وقد صح عن عمر رضي الله عنه قوله : " إذا أعطيتم فأغنوا " .

مبادئ الإنسانية في الأمة الإسلامية :

استطاعت الأمة الإسلامية أن تحقق عدة مبادئ من خلال خاصية الإنسانية التي تميزت بها ، ومن هذه المبادئ التي تحققت :

أ/ **مبدأ الإخاء :** ويقوم هذا المبدأ على أساس أنَّ البشر جميعاً أبناء رجل واحد وامرأة واحدة . قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١]

ب/ **مبدأ المساواة الإنسانية :** ويقوم هذا المبدأ على أساس أنَّ الإسلام يحترم الإنسان ويكرمه من حيث هو إنسان ، مسقطاً كل أنواع التفرقة ، والعنصرية واللونية . وجعل ميزان التفاضل بين الناس هو التقوى .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات : ١٣] . وجاء في الحديث النبوي : " **الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب** " (رواه أبو داؤد والترمذي) . وخطب النبي (ﷺ) في خطبة الوداع قائلاً : " **يأيها الناس إنَّ ربكم واحد وإنَّ أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم** " (رواه البيهقي). ولا يؤثر اختلاف الأديان في أجناسهم ولا أنسابهم ولا أحسابهم ، كما لا يؤثر تفاوت الناس في ثرواتهم أو أعمالهم أو مناصبهم على إنسانية الإنسان ، فالقيمة الإنسانية واحدة يشترك فيها جميع الناس .

التقويم :

١. الأمة الإسلامية هي أمة الإنسان . ناقش .
٢. بيّن عناية الفقه الإسلامي بالإنسان .
٣. ما المظاهر التي تجلى فيها تكريم القرآن الكريم للإنسان ؟
٤. أذكر حقوق الإنسان في الإسلام .
٥. ما المبادئ الإنسانية في الأمة الإسلامية ؟

٣) الشمول

أخذت الأمة الإسلامية هذه الخاصية من الإسلام الذي هو رسالة شاملة لكل زمان ومكان ، ولكل الأمم والشعوب وطبقات المجتمع . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

والإسلام في أصوله الاعتقادية والأخلاقية هو رسالة كل رسول أرسل وكل كتاب أنزل ، فجميع الأنبياء دعوا إلى التوحيد واجتناب الطاغوت . قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

ونجد أنَّ التعاليم التي تنظم حياة الأمة الإسلامية كلها تتصف بالشمول الذي يظهر في العقيدة والعبادة والأخلاق ، والفضائل والتشريع .

فالعقيدة الإسلامية عقيدة شاملة في كل جوانبها . فهي تفسر قضايا الوجود الكبرى كقضية الألوهية والتوحيد والنبوة والرسالة والجزاء الأخروي بجانب قضية الكون وقضية الإنسان ومصيره ، كما أن العقيدة الإسلامية لا تجزئ الإنسان بين إلهين إله للشر وإله للخير ، أو نجزءه بين الله والشيطان وإنما يتوجه الإنسان إلى إله واحد بيده الخير والشر وإليه المبدأ والمصير ، والشيطان لا سلطان له على ضمير الإنسان إلا سلطان الوسوسه والإغراء وتزيينه للشر في الأنفس . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الإسراء : ٦٥] .

فالعقيدة لا تقبل التجزئة في الإيمان بها ، ولا بد أنْ تقبل كلها بدون إنكار أو شك في أي جزء منها ، فلا يقبل من أحد أن يقبل العبادة ويترك التشريع ، أو يأخذ الأخلاق ويترك الاعتقاد . وقد أنكر القرآن الكريم على بني اسرائيل إيمانهم ببعض الكتاب الإلهي دون بعض ، قال الله تعالى : ﴿ ... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا

خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٥] .

والعقيدة الإسلامية شاملة في وسائل الإيمان بها ، **فهي تقوم على العقل والقلب معاً والفكر والشعور جميعاً** ، باعتبارهما أداتين متكاملتين من أدوات المعرفة الإنسانية .

والعبادة الإسلامية تستوعب كيان الإنسان كله ، فهو يعبد الله بلسانه وبدنه وقلبه وعقله وبحواسه كلها مستخدماً لها في طاعة الله .

وتستوعب العبادة الحياة كلها ، الشعائر التعبدية المعروفة بجانب كل حركة أو عمل يقوم به الإنسان يعين على سعادة الآخرين ورقيهم . فالجهاد في سبيل الله عبادة ومساعدة الضعفاء والعجزة عبادة ، تبسمك في وجه أخيك وكل معروف عبادة . كما يدخل فيها سعي الإنسان لمعاشه ومعاش أسرته بالحلال .

إنَّ الأخلاق في الأمة الإسلامية تشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية والروحية والجسمية والدينية والدنيوية والعقلية والعاطفية .

ففي الجانب الفردي نجدها تهتم بحاجات جسمه الأساسية ، قال الله تعالى : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ [الأعراف : ٣١] . وتهتم بعقله ومواهبه ، قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يونس : ١٠١] .

ونجدها تهتم بالعلاقة بين الزوجين ، قال الله تعالى : ﴿ ... وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء : ١٩] .

وتهتم بالعلاقة بين الآباء والأبناء قال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ... ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا) [الإسراء : ٣١] .

ونجدها تهتم بالمجتمع في آدابه ومجاملاته ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور : ٢٧] .

وتهتم باقتصاده ومعاملاته ، قال الله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين : ١-٣] .

وتهتم بسياسته وحكمه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ... ﴾ [النساء : ٥٨] .

كما اهتمت بالحيوان حيث وضعت أسس التعامل معه ، قال رسول الله (ﷺ) : " وفي كل كبد رطبة أجر " (رواه البخاري) .

وتهتم الأخلاق الإسلامية بالحيوان فزانية غفر الله لها بسقيها كلب ، وامرأة دخلت النار في هرة عذبتها ، ومع كل هذا وفي قمته الاهتمام بحق الخالق سبحانه وتعالى ، فهو وحده الذي ترجى رحمته وعفوه ، ويخشى عقابه ، وهو وحده الذي يستحق العبادة وتطلب منه الهداية .

التشريعات الإسلامية :

نجد أن التشريعات التي تنظم حياة الأمة الإسلامية هي تشريعات تشمل الفرد والمجتمع ، والحكومة والمحكومين ، والدولة وعلاقاتها بالدول الأخرى .

ففي الجانب الفردي يشمل التشريع الفرد في تعبده وصلته بربه ، وتشمل سلوكه الخاص ، وما يتعلق بأسرته من زواج وطلاق ونفقات ورضاع وحقوق للآباء والأبناء .

وفي الجانب الاجتماعي ، تنظم التشريعات الإسلامية أحوال المجتمع في علاقاته التجارية والمدنية وما يتصل بتبادل الأموال والمنافع كالبيوع والإيجارات والقروض .

وتنظم التشريعات الإسلامية العلاقة بين الحاكم والمحكوم . وتوضح الصلة بين الطرفين ، كما تنظم علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول في حالة السلم والحرب .

التقويم :

١. من أين أخذت الأمة الإسلامية خاصية الشمول ؟
٢. وضح شمول العقيدة في كل جوانبها ؟
٣. ما وسائل الإيمان بالعقيدة الإسلامية ؟
٤. العبادة تستوعب كيان الإنسان كله . وضح ذلك .
٥. أكمل الآتي :

الأخلاق في الأمة الإسلامية تشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية ، ..... ، ..... ، ..... .

٤) الوسطية

وهي من أبرز خصائص الأمة الإسلامية (ويعبر عنها أحياناً بالتوازن) :

إنَّ وسطية الأمة الإسلامية نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى . فهو الذي جعلها أمة وسطاً كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ...﴾ [البقرة : ١٤٣] والوسط معناه الخيار أو العدل .

مظاهر الوسطية في الأمة الإسلامية :

تتمثل الوسطية في كل جوانب حياة الأمة الإسلامية ، فهي في معتقداتها وسط بين الذين يعتقدون بكل شئ ويؤمنون بغير برهـــان ، وبين الماديين الذيـــن لا يؤمنون إلا بما يشاهدون ويحسونه فإيمان الأمة الإسلامية يقوم على الدليل والبرهان. قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] . وهي وسط بين الذين يؤمنون بآلهة متعددة وبين الذين لا يؤمنون بإله قط ، فهي تؤمن بإله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد ، فهو وحده الذي له الملك والحمد ، وهو وحده الذي يملك النفع والضر ويعلم الغيب. قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] .

وهي وسط في نظرتها للأنبياء ، فلا تقدسهم وترفعهم إلى مرتبة الآلهة أو البنوة للآلهة ، ولا تكذبهم وتتهمهم كما فعلت الأمم السابقة . بل هي تنظر إليهم كبشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وكل الفرق الذي بينهم وبين الناس أنَّ الله اصطفاهم ومنَّ عليهم بالوحي وأيدهم بالمعجزات . قال الله تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ

عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [إبراهيم : ١١] .

وتتميز الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم بنظامها التشريعي ، فهي وسط في التحليل والتحريم بين اليهودية ، فمن المحرمات ما حرمه إسرائيل على نفسه ، ومنها ما حرمه الله عليهم ببغيهم وظلمهم ، قال الله تعالى : ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ ... ﴾ [النساء : ١٦٠] ، وبين المسيحية التي أسرفت في الإباحة حتى أحلت الأشياء التي حرمت في التوراة .

والأمة الإسلامية وسط في عبادتها ، فلا تلغي التعبدي الرباني وتكتفي بالجانب الأخلاقي كالبوذية ، ولا هي كالأمم التي اتبعت أدياناً تدعو إلى ترك العمل والإنتاج والانقطاع عن الحياة الدنيا .

فالأمة الإسلامية تؤدي شعائر محددة في اليوم كالصلاة ، وفي العام كالصوم ، وفي العمر كالحج ، فهي دائمة الصلة بالله تعالى ، ثم تنطلق ساعية في الأرض منتجة تأكل من رزق الله . وفي آية الجمعة خير دليل على الجمع بين العبادة والسعي في الأرض ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الجمعة ٩-١٠] .

وهي وسط في أخلاقها بين المثاليين الذين يرون الإنسان ملاكاً أو شبه ملاك ، فوضعت له من القيم والأخلاق ما لا يستطيعه ، وبين من عدوه حيواناً أو كالحيوان فأرادوا له من السلوك ما لا يليق به . وقد نظر الإسلام إلى الإنسان كمخلوق مركب فيه العقل والشهوة ، وفيه غريزة الإنسان وروحانية الملاك . هُدي لطريق الخير والشر وأعد بفطرته لسلوك الطريقين ، فيوجد فيه استعداد للفجور

واستعداد للتقوى قال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس:٧-١٠]

التقويم :

١. ما الدليل من القرآن الكريم على وسطية الامة الإسلامية ؟
٢. قارن ما بين عقيدة الأمة الإسلامية وغيرها من عقائد الأمم الأخرى .
٣. ما الفرق بين نظام الأمة التشريعي وبين تشريع اليهود والنصارى ؟
٤. وضح الفرق بين عبادة الأمة الإسلامية وأخلاقها وبين الأمم الأخرى .

٥) الثبات والمرونة

اختصت الأمة الإسلامية بظاهرة ميزتها عن سائر المجتمعات الأخرى ، وتلك الظاهرة هي الوسطية التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . ومن مظاهر هذا الوسط التوازن بين الثبات والمرونة .

ويوجد الثبات في الأمة الإسلامية فيما ينبغي أن يبقى ويخلد ، كالأهداف والغايات والأصول والكليات والقيم الدينية والأخلاقية ، وتوجد المرونة فيما ينبغي أن يتغير ويتطور كالوسائل والأساليب والفروع والجزئيات والشئون الدنيوية والعلمية .

والثبات والمرونة يتسقان مع طبيعة الإنسان والكون ، فالإنسان ثابت في جوهره فهو لم يتغير من آدم إلى يومنا هذا ، يأكل ويشرب ، ويفرح ويحزن ، ويكره الموت ويحب الخلود ، وهو متغير في وسائله ومعارفه وطرق عيشه وأساليب تفكيره .

وكذلك نجد في الكون أشياء ثابتة تمضي سنوات ولا تتغير مثل البحار الواسعة والجبال العالية والشمس والقمر ؛ ونجد أشياء أخرى متغيرة ، بحيرات تجف وزرع ينمو وآخر يموت ، ولذا نجد أنَّ الشريعة الإسلامية التي صبغت الأمة الإسلامية بصبغتها تجمع بين عنصري الثبات والمرونة .

وهذه الصفة هي التي جعلت المجتمع الإسلامي يعيش وينمو ويترقى ثابتاً على أصوله وغاياته ، متطوراً في معارفه وأساليبه وأدواته .

فالثبات يمنع المجتمع المسلم من الانهيار والفناء والذوبان في المجتمعات الأخرى ، أو التفكك في الداخل إلى مجتمعات صغيرة تتناقض في الحقيقة وإن كانت تبدو مجتمعاً واحداً في الظاهر .

وبالثبات يستقر التشريع وتتبادل الثقة وتبنى العلاقات على دعائم ثابتة ، ولا تعصف بها الأهواء والتقلبات السياسية من يوم إلى آخر .

وبالمرونة يستطيع هذا المجتمع أن يكيف نفسه وعلاقاته ، حسب تغير الزمان وتبدل أوضاع الحياة ، دون أن يفقد خصائصه ومقوماته الذاتية .

الثبات والمرونة في مصادر الأمة الإسلامية :

يتجلى الثبات والمرونة في المصادر الأصلية للشريعة الإسلامية وهي الكتاب والسنة .

وتتجلى المرونة في المصادر الاجتهادية التي اختلف الفقهاء في مدى الاحتجاج بها . مثل الإجماع والقياس والاستحسان ... الخ . ويتمثل الثبات في العقائد الأساسية أركان الإيمان ، وأركان الإسلام ، وفي أمهات الفضائل كالصدق والأمانة والعفة والوفاء بالعهد وغيرها من مكارم الأخلاق ، وفي الشرائع القطعية كشؤون الزواج والميراث والحدود والقصاص وغيرها من النظم الإسلامية التي تثبت بنصوص قطعية الدلالة ، وفي المحرمات اليقينية كالسحر وقتل النفس والزنا والقذف وغيرها مما ثبت بالدليل القطعي من الكتاب والسنة .

ونجد المرونة فيما يتعلق بجزئيات الأحكام وفروعها العملية وخصوصاً في مجال السياسة الشرعية .

الثبات والمرونة في القرآن :

إذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد نصوصه تجمع بين المرونة والثبات .

فالثبات نجده في قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] .

وفي قوله لرسوله الله صلى الله عليه وسلم : **(وشاورهم في الأمر)** [آل عمران : ٢٩]. فالشورى أمر ثابت لا ينبغي لأحد أن يلغيه . ونجد المرونة في عدم تحديد شكل معين للشورى بحسب ظروف الزمان واحتياجات المكان .

الثبات والمرونة في السنة :

نجد أن السنة النبوية حافلة بالأمثلة التي يتمثل فيها الثبات والمرونة فنجد الثبات في رفض النبي صلى الله عليه وسلم التنازل في كل ما يتصل بكليات الدين وقيمه وعقائده ونجد المرونة في المواقف السياسية والعسكرية ومواجهة الأعداء .

التقويم :

أ) أجب عن الأسئلة الآتية :

١) متى نشأ مصطلح الأمة الإسلامية ؟
٢) أذكر بعض المعاني التي تدل عليها كلمة (الأمة) في القرآن الكريم .
٣) قارن بين تعريف الراغب لكلمة (أمة) وبين المعنى الذي توصل إليه كمصطلح .
٤) متى كانت بداية الأمة الإسلامية ؟
٥) أذكر آيات من القرآن الكريم ختمت بما يدل على ربانية مصدرها .
٦) ما الدليل على أنَّ القرآن الكريم هو كتاب الإنسان الأول ؟

٧) ما العلاقة بين بشرية الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقوله تعالى : (**لقد كانت لكم في رسول الله اسوة حسنة**) ؟
٨) ما الدليل من القرآن الكريم على تكريم الإنسان ؟
٩) أذكر بعض المجالات التي يبرز فيها تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان .
١٠) أذكر أنواع الحقوق الأساسية للإنسان .
١١) ما مصدر الشمول في الأمة الإسلامية ؟
١٢) ما الدليل على أن الإسلام هو رسالة كل الرسل ؟
١٣) اذكر بعض الجوانب التي تغطيها الأخلاق الإسلامية .
١٤) ما معنى :
أ/ الوسط ؟
١٥) وضح آثار كل من الثبات والمرونة في حياة الأمة الإسلامية .

ب) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (✗) أمام العبارة الخطأ مع التعليل :

١) قامت دعوة النبي (ﷺ) على أسس دعوة إبراهيم عليه السلام . ( )
٢) تجتمع كل خصائص الأمة الإسلامية عند خاصية الربانية . ( )
٣) بشرية الرسول (ﷺ) تدل على إنسانيته . ( )
٤) يؤثر اختلاف الناس في أجناسهم وأنسابهم على إنسانية الإنسان . ( )
٥) الأمة الإسلامية وسط في نظرتها للأنبياء . ( )

ج) **نشاط** :

وضح مظاهر كل من الربانية والإنسانية والوسطية في كل من :

(١) العقيدة . (٢) العبادة .
(٣) التشريع . (٤) الأخلاق والآداب .

الإسلام دين التوحيد

(١) **توحيد الله تعالى** :

هو إفراد الله تعالى بالعبادة والإنابة والرجاء والخوف وتنزيهه عن الشريك والخضوع لأوامره والاجتناب لنواهية .

قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩]

أقسامه :

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

الأول : توحيد الربوبية .

الثاني : توحيد الألوهية .

الثالث : توحيد الأسماء والصفات .

توحيد الربوبية :

معنى الرب :

الرب في اللغة هو السيد والمالك والمربي .

وتوحيد الربوبية شرعاً :

هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شئ ومالكه ، وخالقه ، ورازقه وأنه المحيي والمميت .

المنكرون لتوحيد الربوبية :

لم ينكر هذا التوحيد ويجحده إلا شرذمة من البشر عرفوا قديماً باسم (الدهريين) الذين ينسبون الأفعال إلى الدهر فيقولون : ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ) [الجاثية : ٢٤] وعرفوا حديثاً باسم " الماديين " أتباع الفلسفات المادية الذين يرجعون كل شئ إلى المادة وينكرون الغيبيات .

وهذا النوع من التوحيد قد أقر به المشركون ولم ينكروه فيما حكاه الله عنهم في قوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف:٨٧] .

وفي قوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت : ٦٣] .

ولكن إقرار المشركين هذا بربوبية الله للكون وتدبيره لأمره لا ينفعهم ولا يشفع لهم ، لأنهم كانوا يقرون وفي الوقت نفسه يثبتون مع الله الشفعاء والأنداد والأرباب وبذلك لم يكونوا من المسلمين ، ولقد حكى عنهم القرآن ذلك فقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨] .

لقد كان المشركون يقرون فعلاً بأن الله رب كل شئ ولكنهم كانوا لا يوحدونه في ألوهيته .

وليس كل من أقر بالله رباً يكون موحداً له في ألوهيته ومفرداً له عبادته .

قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

ومما تقدم نعلم أن توحيد الربوبية لا يكون كافياً إلا إذا انضم إليه ولازمه وهو توحيد الألوهية .

التقويم :

(١) ما معنى التوحيد ؟

(٢) ما أقسام التوحيد ؟

(٣) أكمل الآتي :

- توحيد الربوبية هو الإقرار ..... ومالكه .....
- توحيد الربوبية لا يكون كافياً إلا إذا .....

(٤) لماذا لم ينفع إقرار المشركين بتوحيد الربوبية ؟

(٥) من الذي أنكر توحيد الربوبية ؟

توحيد الألوهية :

معنى الإله في اللغة : هو المعبود .

توحيد الألوهية شرعاً :

هو إخلاص العبادة لله تعالى ، وأفراده بالطاعة والتوكل والرغبة والرهبة والدعاء والرجاء .

فالمسلم يتوجه بعبادته كلها ظاهرها وباطنها لله وحده ولا يجعل فيها شيئاً لغيره مهما كان ذلك الغير .

وهذا التوحيد هو المقصود بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢،١٦٣] ، وقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

فتوحيد الألوهية هذا هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو الذي خلق الله الجن والإنس من أجله قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وهو الذي من أجله أنزل الله تعالى الكتب وأرسل الرسل عليهم السلام ، فما من رسول إلا وصرح القرآن بأن دعوته ورسالته لعبادة الله وحده لا شريك له قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

وتوحيد الألوهية هذا هو مضمون كلمة لا إله إلا الله والتى معناها لا معبود بحق إلا الله .

مقارنة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية :

هنالك فوارق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية نشير إليها فيما يأتي :

توحيد الربوبية	توحيد الألوهية
(١) هو الإقرار بأن الله تعالى هو رب كل شئ وخالقه ومدبره .	(١) هو إخلاص العبادة لله وحده وإفراده بالتأله والطاعة والإنابة والتوكل .
(٢) هو اعتقاد وتصديق بالقلب دون حاجة إلى غيره .	(٢) هو اعتقاد بالقلب وعمل وسلوك وانقياد موافق لما استكن في القلب .
(٣) يقتضي توحيد الألوهية لأنه كالسبب له والبرهان عليه .	(٣) هو لازم لتوحيد الربوبية ونتيجة حتمية له فما يستحق أن يعبد ويطاع إلا خالق الكون ومدبره .
(٤) واضح وجلى يقر به أكثر الناس .	(٤) خفي ودقيق ومفقود في حياة البشرية ومن هنا ركز عليه الرسل وكان أول شئ دعوا الناس إليه .
(٥) لا يكون العبد به مسلماً حتى يقرنه بتوحيد الألوهية فقد أقر به المشركون ولم يكونوا من المسلمين لأنهم جحدوا توحيد الألوهية وعبدوا مع الله الهة أخرى .	(٥) هو أول الدين وآخره وهو لب الإسلام ، وبه يتحرر الإنسان من كل عبودية لغير الله تعالى وبه تكون سعادة الإنسان في الدنيا ونجاته في الآخرة .

التقويم :

(١) عرف توحيد الألوهية شرعاً .

(٢) استدل بآية من القرآن على أنَّ جميع الرسل دعوا إلى عبادة الله وحده .

(٣) قارن بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

توحيد الأسماء والصفات

معناه :

هو إقرار المسلم بأن الله قد سمى نفسه بأحسن الأسماء ووصف ذاته العلية بأكمل الصفات .

وهذه الأسماء والصفات لا تنبغي لأحد غير الله ، ولا يتصف بها على حقيقتها سواه .

فكل ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله الكريم نثبته له سبحانه بالصورة التي أرادها والحقيقة التي اختارها إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل كما جاء في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى : ١١] .

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر : ٢٣-٢٤] .

حظ المسلم من الإيمان بأسماء الله وصفاته :

حظ المسلم من معرفة أسماء الله تعالى وصفاته هو التعرف بها على الله تعالى ، ليزداد معرفة بربه فيعبده على بصيرة وعلم .

ثم حظه كذلك منها هو التخلق بشيء مما تدل عليه هذه الأسماء ، وتلك الصفات وأخذ النفس بمدلولها في حدود الطاقة البشرية ، فيكون المسلم رحيماً ، وعادلاً ، وكريماً ، وشكوراً وقوياً إلى غير ذلك مما تدل عليه هذه الأسماء وتلك الصفات من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة .

تدريب :

١. ما معنى توحيد الأسماء والصفات ؟
٢. ما الفرق بين صفات الإنسان وصفات الرحمن ؟
٣. أكمل الآتي :
   - كل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله الكريم ..... ، بالمعنى الذي ..... والحقيقة ..... إثباتا وإيمانا ..... وتنزيهاً .....
٤. ما حظ المسلم من الإيمان بالأسماء والصفات ؟

مظاهر التوحيد في دين الإسلام

أولاً : **التوحيد هو المهمة الأولى للرسل عليهم السلام**

ولأهمية التوحيد ومنزلته في الرسالات الإلهية كان هو القضية المحورية والأساسية في دعوات الرسل جميعاً وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ **[النحل : ٣٦]** .

ثانياً : **التوحيد شعار الإسلام**

إن الإسلام جعل التوحيد أساساً له وشعاراً يدل عليه ، فإذا ذكر الإسلام كان التوحيد معه وملازماً له .

وبالتوحيد تميز الإسلام عن غيره من الديانات القديمة والحديثة ، وقد أشبع القرآن الكريم القول ، وسلك ضروباً كثيرة في إثبات التوحيد ونفي الشرك ، وكثيراً ما جمع بينهما للزوم كل منهما عن الآخر ، فنفى التثنية وأثبت التوحيد في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[النحل :٥١]

ونفى التثليث وأثبت التوحيد في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾[النساء : ١٧١].

ونفى كل شريك وتعدد وأثبت التوحيد في قوله تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

ثالثاً : **التوحيد حق الله على العباد**

إنَّ المسلم يوحد الله ويعبده لأن الله هو المتفضل عليه بآلائه التي لا تحصى ، وإذا كان التوحيد هو واجب العباد نحو ربهم ، فهو كذلك حق الله عليهم .

قال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ [النساء : ٣٦] .

روى الشيخان البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : (كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: " يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . وحق العباد على الله (أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً) قلت: يارسول الله. أفلا أبشر الناس قال "لا تبشرهم فيتكلوا" .

رابعاً : التوحيد رسالة المسلم في الحياة

وإذا كان المسلم يستقبل حياته بالتوحيد ويودعها بالتوحيد فإن وظيفته بين مهد الطفولة وفراش الموت هي إقامة التوحيد والدعوة إليه . بقول الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

بينت الآية الكريمة أن أفضل ما يقوم به المسلم هو الدعوة إلى الله تعالى والعمل الصالح معلناً بذلك انتمائه للإسلام الذي هو دين التوحيد .

خامساً : التوحيد رسالة الأمة الإسلامية إلى الأمم

والتوحيد كما هو رسالة المسلم في الحياة هو أيضاً رسالة الأمة الإسلامية إلى الأمم كلها وإلى العالم كافة ، وهي المهمة التى من أجلها اختار الله هذه الأمة واصطفاها دون غيرها من الأمم للقيام بها قال تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

ولعل من أعظم أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له والتحذير من الوقوع في الشرك .

ولقد وعي الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان هذه الرسالة وأن هذا واجبهم نحو غيرهم ، فهذا ربعي بن عامر حين سأله (رستم) قائد الفرس في حرب القادسية من أنتم ؟ وما مهمتكم ؟ أجابه بقوله : " نحن قوم بعثنا الله لنخرج

الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام " .

التقويم :

(١) ما مظاهر التوحيد ؟

(٢) إقامة التوحيد في الأرض رسالة المسلم والأمة الإسلامية . وضح ذلك .

(٣) ما حق الله على العباد ؟ وما حق العبيد على الله ؟

الإيمان والعلم في كتب السنة

الإيمان والعلم في كتب السنة

الإيمان من كتاب صحيح البخاري :

كتاب صحيح البخاري أو الجامع الصحيح هو من أصح كتب السنة بل يفوقها صحة وتبويباً وفقهاً .

ألفه صاحبه (محمد بن إسماعيل البخاري) في ستة عشر عاماً وانتقاه من زهاء ستمائة ألف حديث ، وكان كلما أراد أن يضع حديثاً اغتسل وصلى ركعتين . وكتب تراجم جامعه بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ، وجمع ما يقارب سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون (٧٣٩٧) حديث بالمكرر ، وبدون المكرر عدد أحاديثه ألفان وستمائة واثنين (٢٦٠٢) حديثاً .

اهتم العلماء بكتاب البخاري اهتماماً كبيراً حتى بلغت شروحه اثنان وثمانون (٨٢) شرحاً ، أشهرها شرح الحافظ ابن حجر العسقلاني المسمى بفتح الباري وشرح الحافظ بدرالدين العينى المسمى بعمدة القاري .

أهمية الإيمان :

الإيمان هو ملاك الأمر كله وباقي الأعمال الصالحة مبنية عليه ومشروطة به ، وبه النجاة في الدارين ، ولذلك قدمه البخاري ومسلم في كتابيهما على بقية الكتب .

الأحاديث التي أوردها البخاري في كتاب الإيمان تناولت عمل القلب وهو الاعتقاد وعمل اللسان وهو النطق بالشهادتين وغيرها وعمل الجوارح من صلاة وزكاة وحج وترك الحرام ، لأن تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو : (معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل الأركان) وكان البخاري يريد أن يرد على الذين ينفون الأعمال كالصلاة وغيرها من الإيمان ، لأن بعض الناس يعتقدون أن الإيمان هو المعرفة فقط .

التقويم :

١. ما أصح كتب السنة ؟
٢. من الذي ألف أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى ؟
٣. أكمل الآتي :

بلغ مدة تأليف صحيح البخاري ..... وانتخبه من ..... وكان كلما أراد أن يضع حديثاً ..... عدد أحاديثه ..... بالمكرر .

٤. ما الذي يدل على اهتمام العلماء بصحيح البخاري ؟
٥. أنسب الكتب الآتية لأصحابها :
أ. فتح الباري . ب. عمدة القارئ .
٦. لماذا قدم كتاب البخاري على غيره ؟
٧. ما تعريف الإيمان عند أهل السنة ؟

شعب الإيمان

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الإيمان بضعٌ وستون شعبه ، والحياء شعبه من الإيمان)
أخرجه البخاري

معاني المفردات :

بضع : القطعة من العدد تُجعل لما دون العشرة (٣-٩)
شعبة : وهي القطعة والفرقة ، والمراد بها هنا الخَصْلة أو الجزء
الحياءُ : في اللغة تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف وما يعاب به . وفي الشرع : خُلق يبعث على إجتناب القبيح أو خلق يبعث على فعل الطاعة وحاجز عن فعل المعصية .

بيان الأحكام والآداب التي تؤخذ من الحديث :

١. الإيمان اسم يتشعب إلى أمور عديدة يجمعها الطاعة ، وأعلى هذه الشعب كلمة التوحيد لا اله إلا الله وأدناها دفع الأذى عن الغيـــر (إماطة الأذى عن الطريق كما ورد ذلك في حديث آخر) .
٢. خُصَّ الحياء بالذكر لأهميته ، لأنه هو الباعث على فعل الطاعات واجتناب المنهيات فإن صاحب الحياء لا يفعل إلاّ الخير كما قال صلى الله عليه وسلم : (الحياء لا يأتي إلاّ بالخير) .
٣. حَصَرَ بعض العلماء هذه الشعب في تأليف خاص بها منهم ابن حبان والبيهقى .

التقويم :

١. ما معنى (بضع ، شعبة) ؟
٢. ما الإيمان ؟ لماذا ذكر البخاري أعمال بعض الجوارح في كتاب الإيمان ؟
٣. ما أعلى شعبة من الإيمان ؟ وما أدناها ؟
٤. لماذا خص الحياء بالذكر ؟

الدين يسر

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة) .

معاني المفردات :

الدين يسر	:	أي ذو يسر أو نقيض العسر
ولن يشاد الدين	:	من المشادة وهي المغالبة من الشدة
فسددوا	:	أي الزموا السداد أي الصواب من غير تفريط ولا إفراط
وقاربوا	:	لا تبلغوا النهاية بل تقربوا منها
وأبشروا	:	أبشروا بالثواب على العمل وإن قل
الغدوة	:	السير أول النهار
الدلجة	:	السير آخر الليل

بيان الأحكام التي تؤخذ من هذا الحديث :

١. دين الاسلام دين يسر وسهولة مقارنة بالأديان السابقة التي كانت تشدد على أهلها .
٢. الغلو في الدين والإفراط في العمل وعدم الرفق بالنفس يؤدي إلى ترك العمل من أصله .
٣. التنبيه على اغتنام أوقات النشاط والفراغ لذكر الله وهي أول النهار وآخر النهار .

التقويم :

١. قارن بين دين الإسلام والأديان الأخرى في مدى سهولة الأحكام ويسرها .
٢. ما معنى (فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا) ؟
٣. ماذا تستنبط من قوله (واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة) ؟

من الإيمان أن يحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) .

حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان :

عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) .

معاني المفردات :

المحبة : ميل القلب إلى الشيء لتصور كمال فيه والمراد بالمحبة هنا الميل الاختياري .

بيان معاني الآداب والأحكام التي تؤخذ من هذين الحديثين :

١. الحث والحض على تمني الخير للآخرين .
٢. نفي الإيمان الكامل من الذي لا يحب للآخرين الخير كما يحب لنفسه .
٣. من الإيمان أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر .
٤. الحث على التواضع حتى لا يحب أن يكون مميزاً وأفضل من الآخرين ولا يتم ذلك إلا بترك الأنانية وحب الذات .
٥. نفي الإيمان الكامل من الذي لا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من كل مخلوق آخر .
٦. حب رسول الله صلى عليه وسلم يتمثل في التبجيل والتوقير والتعظيم والصلاة والسلام عليه كلما ذكر ، والدفاع عنه واتباع سنته وإيثار طريقه وهديه على كل هدي .

التقويم :

١. بماذا تصف الشخص الأناني ؟
٢. هل الحاسد كامل الإيمان ؟ ولماذا ؟
٣. ما موقفك من ايذاء الصحف الدنماركية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
٤. صف شعورك وأنت مقبل على المدينة لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) .

معاني المفردات :

المسلم : المراد المسلم الكامل والجامع لخصاله

المهاجر : من هجر أهله ووطنه وعشيرته والمراد هنا ترك المعاصي

بيان الأحكام والمعاني التي تؤخذ من هذا الحديث :

١. المسلم المستحق الثناء هو من سلم المسلمون من قوله الفاحش البذئي ومن بطشه وضربه .
٢. الحث على ترك أذى المسلمين بكل ما يؤذي من قول أو فعل .
٣. قدم اللسان على اليد لأن أذى اللسان أشد إيلاماً من أذى اليد .
٤. ترك ما نهى الله عنه من أعظم أنواع الهجرة.

التقويم :

١. لماذا خص ذكر اليد واللسان دون بقية الجوارح ؟
٢. لم قدم اللسان على اليد ؟
٣. الحديث حث على عدم إيذاء المسلم . ما رأيك في إيذاء غير المسلم ؟
٤. ما الفرق بين إيذاء اللسان واليد ؟

علامة المنافق

عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) .

معاني المفردات :

خصلة : صفة

يدعها : يتركها

غدر : من الغدر وهو ترك الوفاء

خاصم : جادل

فجر : وهو الميل عن الحق

بيان المعاني والآداب التي تؤخذ من هذا الحديث :

١. مراد البخاري بذكر علامات المنافق في كتاب الإيمان لكونها معاصي تنقص الإيمان فينبغي الحذر منها .
٢. النفاق مخالفة الباطن للظاهر فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر وإلا فهو نفاق العمل ويدخل فيه فعل المعاصي وترك الطاعات .
٣. المتصف بالصفات السابقة هو شبيه بالمنافقين ومتخلقاً بأخلاقهم من كذب وخيانة وخلف الوعد والفجور .
٤. التحذير الشديد من اعتياد هذه الصفات وملازمتها لأنها قد تؤدي إلى النفاق الأكبر .

التقويم :

١. ما معنى (خصلة ، يدعها ، خاصم) ؟
٢. ما مراد البخاري بذكر علامات المنافق ؟
٣. أكمل الأتي : النفاق ينقسم إلى قسمين :

أ/ ..... ب/ .....

الإخلاص من الإيمان

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه " .

معاني المفردات :

الأعمال :	تشمل أعمال اللسان وهي الأقوال ، وأعمال الجوارح الأخرى (اليد ، الرجل وغيرها)
النية :	وهي القصد ، وفي الشرع هي الإرادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضاء الله وامتثال حكمه
الهجرة :	ترك مكان إلى آخر ، وفي الشرع ترك دار الكفر إلى دار الإسلام ، وترك دار الخوف إلى دار الأمن أو ترك ما نهى الله عنه .

الآداب والأحكام التي تؤخذ من الحديث :

١. الأعمال تابعة للنية مقدرة بها وموزونة بميزانها ، فدرجة كل عمل من درجة النية الباعثة عليه فإن كانت خيراً فخير وإن شراً فشر .
٢. لكل إنسان جزاء ما نواه فمن كانت نيته ثواب الله ومرضاته فله ذلك ، ومن كانت نيته شراً فله الويل ومن نوى أجراً دنيوياً محضاً فلا حظ له في الثواب .
٣. الهجرة لا زالت قائمة وواجبة على كل من كان في بلدة لا يستطيع أن يظهر فيها شعائر دينه ولو كانت هذه البلدة موطنه الأصلي .
٤. أفضل الهجرة هجرة المعاصي التي حرمها الله سبحانه وتعالى .
٥. ومن الهجرة ترك البلد الذي يسب فيه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والبلد الذي تنتشر فيه التفسخ الأخلاقي والقيم الرذيلة .

التقويم :

١. أكمل الآتي : " الأعمال بالنيات .....
فمن كانت .....
ومن كانت ....."
٢. ما معنى الكلمات الآتية :
الأعمال ، النية لغة وشرعاً ، الهجرة لغة وشرعاً .
٣. قال العلماء : " إن هذا الحديث ثلث الإسلام " . لماذا ؟
٤. ابحث عن سبب هذا الحديث .
٥. أكتب أكبر عدداً من الأحاديث عن الإخلاص مستعيناً بكتاب رياض الصالحين .
٦. ما رأيك فيمن ينوي البيع والتجارة مع الحج؟

ترك المشتبهات من الإيمان

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشِك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله (في أرضه) محارمه ألا وأن في الجسد مضغة إذا صَلَحَت صَلَحَ الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه ألا وهي القلب " .

معاني المفردات :

المشبهات : المشتبه فيه ، الخفي أمره
الحمى : المكان المحمي الممنوع على غير من حماه
العرض : موضع المدح والذم
مضغة : قطعة ، جزء

الآداب والأحكام التي تؤخذ من الحديث :

١. ترك المشتبهات دليل على قوة إيمان المرء وعلى تقواه وورعه .
٢. المشتبهات قد تخفى على كثير من الناس فواجب على المرء أن يسأل عنها أهل العلم (فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) .
٣. ينبغي للإنسان المؤمن الورع أن يتحرى الحلال الذي لا شك فيه ويتجنب الحرام الذي لا شك فيه ، ويترك كل شي يشك فيه ليكون دينه نقياً وعرضه سالماً .
٤. أعظم الذنوب وأقبحها هو انتهاك حرمات أعظم الملوك الله جل جلاله .
٥. تطهير القلب من الدنس والرجس والذنوب ، هو الوسيلة الوحيدة لطهارة بقية الأعضاء .

التقويم :

١. أكمل الآتي : " الحلال بيّن والحرام بيّن .....
٢. ما معنى الكلمات الآتية :
المشتبهات ، الحمى ، العرض .
٣. من راوي الحديث ؟
٤. ما أثر ترك الشبهات على الفرد المسلم ؟
٥. ما الواجب الذي يفعله الإنسان عندما تشتبه عليه الأمور ؟
٦. ما حمى الله تعالى ؟
٧. ما الوسيلة الوحيدة لاستقامة بقية الجوارح ؟
٨. اذكر بعض المشتبهات التي اشتبهت عليك ؟

العلم

أشاد الإسلام في مصدريه الرئيسيين ، القرآن الكريم ، والسنة النبوية بالعلم وحث الإسلام على العلم ، ودعا الناس إلى طلبه ، وأشاد بمكانة أهله وأعلى من مكانتهم وقدرهم ، وقد وضع له قواعد تحكمه ، وأحكاماً تنظمه في الكتاب والسنة .

ونقدم لك أيها الطالب أحاديثاً من السنة النبوية مأخوذة من سنن الإمام أبوعبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ، الذي ولـــد عام (٢٠٧هـ) .

ويدل كتابه السنن على علمه واتباعه للسنة في الأصول والفروع ، ويشتمل الكتاب على إثنين وثلاثين كتاباً وألف وخمسمائة باب وعلى أربعة ألف حديث . وقد شرح كثير من العلماء سنن ابن ماجه ، منهم كمال الدين محمد بن موسى الدميرى (توفى سنة ٨٠٨هـ) وقد سمي شرحه ، (الديباجه بشرح سنن ابن ماجه) وقد بوب ابن ماجه في مقدمته أبواباً للعلم منها :

فضل من تعلم القرآن وعلمه :

عن عثمان بن عفان قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : (خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه) .

عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجه ، طعمها طيب وريحها طيب . ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة ، طعمها طيب ولا ريح لها . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، طعمها مر ولا ريح لها) .

معاني المفردات :

مثل المؤمن : صفته العجيبة

الأترجة : نوع من الفواكه

بيان المعاني والآداب التي تؤخذ من الحديثين :

١. أفضل المتعلمين من يتعلم القرآن ليعمل به ويعلمه غيره .
٢. لا يلزم من فضل قارئ القرآن أن يكون أفضل من الفقيه ، لأن القارئ قد لا يفهم منه شيئاً ، فبحسب النفع للغير يكون الفضل .
٣. كلام الله تعالى له تأثير في باطن العبد وظاهره ، وإن العباد متفاوتون في ذلك فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارئ ومنهم

من لا نصيب له وهو المنافق ، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائي أو بالعكس وهو المؤمن الذي لم يقرأه .

٤. يستحب ضرب الأمثال لإيضاح المعاني .

التقويم :

١. من الذي ألف سنن ابن ماجه ؟

٢. أكمل الآتي :

تشتمل سنن ابن ماجه على ..... كتاباً وألف ..... وعلى أربعة ..... .

٣. من شرح سنن ابن ماجه ؟

٤. أكتب حديثاً عن فضل القرآن الكريم .

٥. ما الفائدة من ضرب الأمثال ؟

٦. ما أثر قراءة القرآن الكريم على النفوس ؟

باب فضل العلماء والحث على طلب العلم

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن طالب العلم يستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) .

معاني المفردات :

سلك : دخل أو مشى
طريقاً : حسي أو معنوي
لتضع أجنحتها : مجازاً عن التواضع تعظيماً لحقه ومحبة للعلم
حظ وافر : نصيب تام

بيان الآداب والأحكام التي تؤخذ من الحديث :

١. الطريق إلى الجنة فيه صعوبه ومشقة ، يسهل هذا الطريق وييسر بطلب العلم .
٢. أهل السموات والأرض مشغولون بالاستغفار للعالم والمتعلم .
٣. شبه العالم بالقمر لأن نور العالم والقمر يتعدى إلى غيرهما وشبه العابد بالكواكب لأن نورهما لا يتعدى إلى غيرهما .
٤. من أراد أن يكون وريثاً للأنبياء فعليه بالعلم فإنه ميراثهم.

التقويم :

١. ما معنى: (سلك ، لتضع أجنحتها ، حظ وافر) ؟
٢. ما أسهل الطرق التي توصل إلى الجنة ؟
٣. استخرج من سورة غافر آيه تبين استغفار الملائكة للمومنين .
٤. لماذا شبه العالم بالقمر والعابد بالكواكب ؟
٥. ماذا تفعل إذا أردت أن تكون وريثاً للأنبياء ؟

باب الانتفاع بالعلم والعمل به

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن دعاء لا يُسمع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع " .

عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تَعَلّموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ، ولا تخيروا به المجالس ، فمن فعل ذلك فالنار فالنار " .

معاني المفردات :

أعوذ	:	التجئ وأحتمي
لا يُسمع	:	لا يجاب
لا تعلموا	:	لا تتعلموا
لتماروا	:	لتشككوا
السفهاء	:	جمع سفيه، وهو قليل العقل والمراد به الجاهل
ولا تخيروا	:	أي لا تختاروا به خيار المجالس وصدورها

الآداب والأحكام التي تؤخذ من هذا الحديث :

١. هنالك أنواعاً من العلوم ، العلم بها لا ينفع ، والجهل بها لا يضر ، ينبغي للمؤمن أن لا يشغل نفسه بها .
٢. الدعاء الذي لا يُسمع (أي لا يقبل) هو من أغلق بابه بالمعاصي وأكل الحرام .
٣. القلب الذي لا يخشع هو القلب الذي تحجر أو صار أشد قساوة من الحجارة لأن الحجارة لو أنزل عليها القرآن لخشعت وتصدعت من خشية الله ، وتلك القساوة من كثرة الذنوب والمعاصي .
٤. الإنسان الذي يطلق ويرسل شهوات نفسه في الملذات والمطالب لن يشبع أبداً كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب " .
٥. طلب العلم من أشرف العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى فمن قصد من تعلمه غير وجه الله سبحانه وتعالى كان يتعلم للمباهاة والمفاخرة به أو ليجادل به أو ليتصدر به امام الناس فمصيره إلى النار بل هو أول

من تسعر به النار كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر .

٦. العمل الصالح دون إخلاص يصير هباءً منثوراً .

التقويم :

١. أذكر أمثلة لعلوم تضر أكثر مما تنفع .
٢. رتب عدداً من أنواع العلوم على حسب أهميتها .
٣. ما رأيك في من يتعلم من أجل الوظيفة ؟
٤. ما معنى الكلمات الآتية :
أعوذ ، التجئ ، لا يُسمع ، لتماروا .
٥. كثير من الناس يتعلمون للمجادلة والمناظرة . ما حكم ذلك ؟
٦. ارتفع الخشوع من القلوب . فما سبب ذلك ؟
٧. أشرح العبارة الآتية : (ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب) .
٨. أكتب رسالة لزميلك الذي يستغرق جل وقته في قراءة الألغاز ، والقصص الغرامية والمجلات الخليعة، تنصحه فيها .

باب من بلّغ علماً أو كتمه

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ، ثم بلّغها عني ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه " .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار " .

معاني المفردات :

نضر	:	النضرة : الحسن والجمال والبهاء
مقالتي	:	حديثي
فوعاها	:	فهمها وحفظها
رب	:	للتقليل وقد ترد للتكثير
حامل فقه	:	حامل علم (حديث أو غيره)
ألجم	:	أدخل في فمه لجام لأنه موضع خروج العلم والكلام

الآداب والأحكام التي تؤخذ من الحديثين :

١. الحث والحض على حفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهمها ونشرها .
٢. أهل الحديث والفقه وجوههم نضرة بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم .
٣. الناس يتفاوتون في الحفظ والفهم على قدر ما أعطاهم الله من العقل والفهم .
٤. ليس كل من يحفظ بفقيه فأهل الحديث غير أهل الفقه فلكلٍ مكانته ومنزلته وتخصصه ، فالمحدثون يؤخذ منهم ورود الحديث وصحته وضعفه ، وأما الفقهاء يؤخذ منهم فقه الحديث ومسائله وأحكامه .
٥. كتم العلم من الذنوب التي يستحق صاحبها أن يُدخل في فمه لجام من نار يوم القيامة .
٦. ضرورة أخذ الحديث من مصادره الموثوقة المضبوطة بالشكل المشهورة بالصحة كصحيح البخاري ومسلم والسنن الأربعة .

التقويم :

١. ما معنى الكلمات الآتية :
نضر ، مقالتي ، فوعاها ، رب ، ألجم .

٢. من أين أكتسب أهل الحديث والفقه نضارة الوجه ؟
٣. لكل فن (علم) رجال . أشرح هذه العبارة .
٤. من يطبع بعض الأذكار النبوية وينشرها ويوزعها على الناس ، هل يعتبر من الذين يستحقون دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ؟
٥. ما رأيك فيمن يأخذ الأحاديث النبوية من كتب القصاصين والكتب غير المعتمدة ؟
٦. قارن بين البخيل بماله والبخيل بعلمه .
٧. ما جزاء من يكتم العلم ولا ينشره ولا يساعد في نشره ؟

جميع حقوق الطبع والتأليف ملك للمركز القومي للمناهج والبحث التربوي . ولا يحق لأي جهة، بأي وجه من الوجوه نقل جزء من هذا الكتاب أو إعادة طبعه أو التصرف في محتواه دون إذن كتابي من إدارة المركز القومي للمناهج والبحث التربوي.

رقم الإيداع: ٧٨٢/٢٠٠٨